

تنزيه الدين وحملته ورجالها مما افتراه القاصي في اغلاله

تأليف العلامة الفضال

الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعد

علامة القصيم حفظه الله آمين

طبع على نفقة

محمد نصيف بجده - الحجاز

طبع بمطبعة دار احياء الكتب العربية
لاصحابها عيسى السباوي الحسايني وشركاه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم
تسليماً كثيراً .

(أما بعد) فإني قد وقفت على كتاب صنفه عبد الله بن علي القصيمي سماء (هاذي
هي الأغلال) فإذا هو محتو على نبذ الدين والدعاية إلى نبذه والانحلال عنه من كل
وجه وكان هذا الرجل قبل كتابته وإظهاره لهذا الكتاب معروفاً بالعلم والانحياز
لمذهب السلف الصالح وكانت تصانيفه السابقة مشحونة بنصر الحق والرد على المبتدعين
والملاحدين فصار له بذلك عند الناس مقام وسمعة حسنة فلم يزعج الناس في هذا العام
حتى فاجأهم بما في هذا الكتاب الذي نسخ به وأبطل جميع ما كتبه عن الدين سابقاً
وبعد ما كان في كتبه السابقة معدوداً من أنصار الحق ، انقلب في كتابه هذا من
أعظم المناهذين له ، فاستغرب الناس منه هذه المفاجأة الغريبة لسوابقه ولسنا بصدد
التعرض للأسباب التي دعت له لكتابة هذا الكتاب ، وكثير من الناس يظنون به
الظنون التي تدل عليها القرائن وليست بعيدة من الصواب لظن بعضهم أنه ارتشى من
بعض جهات الدعاية الأجنبية للأدينية ، ولكن لما كتب هذا الكتاب وطبعه
ونشره بين الناس وجعله دعاية بليغة لنبذ دين الإسلام ، بله غيره من الديانات والمبادئ
الخالقية فكان هذا أكبر عداء ومهاجمة للدين وجب على كل من عنده علم أن يبين
ما يحتوي عليه كتابه من العظائم خشية اغترار من ليس له بصيرة بكلامه حيث كان

معروفاً قبل ذلك من علماء المسلمين ولم يدر ما طرأ عليه من الانقلاب واننا نعلم أن الذين يقرؤون كتابه ويقفون عليه ثلاثة أقسام :

(القسم الأول) من له بصيرة ومعرفة وتفريق بين الحق والباطل ومعرفة بحقيقة الدين ، فهذا لا يحتاج إلى التنبيه بل مجرد وقوفه على كلامه وفهمه يكفيه معرفة حقيقة بطلانه وفساده لأن هذا القسم من الناس لا تفهم الألفاظ المزخرفة ولا الاستدلالات المزورة المبهرجة .

(القسم الثاني) من وقف على كتبه السابقة ، ثم على كتابه هذا ورأى ما فيها من الاضطراب والتناقض والتضارب وعدم الاستقرار على قول ورأى واحد ، يقول القول اليوم فيهدمه بالغد ويبنى ما هدمه ويهدم ما بناه ، فينار يدهى أنه ينصر الدين ويغار على المسلمين إذ تراه ملحقاً في هدم أصول الدين وقواعده حاملاً على حملته متهماً بالعلماء والمرشدين مؤسكاً لهم من الرقي في الحياة ما داموا متمسكين بدين الإسلام . وبينما تراه يحط على أئمة الدين ومصاييح الدجى إذ يصب الثناء والمدح على أئمة الكفر وزنادقة الملاحدة ويعظمهم غاية التعظيم ، وبينما تراه يذم القديم ويبحث على رفضه ومراده ما جاء به الدين علوماً وأخلاقاً وأعمالاً ويبحث على الأخذ بكل جديد إذ تراه متناقضاً يبحث على اتباع المنحرفين كأرسطو وأفلاطون والفارابي وابن سينا ونحوهم من المتقدمين والمتأخرين إلى غير ذلك من مناقضاته التي توجب للناس فيها أن يهدروا كلامه ويسقطه من الاعتبار ولو لم يكن من أهل العلم والإبصار .

وأما (القسم الثالث) الذين لا بصيرة لهم يميزون بها بين الحق والباطل ولا وقفوا على تناقضه وعدم استقراره على رأى واحد فإنهم يخشى عليهم من الاعتراض بكلامه لأنهم يسمعون عبارات مزخرفة واستدلالات مموهة لأنه يردد المعنى الضئيل بصارات كثيرة وأساليب متنوعة ونحن لا ننكر ما في كلامه وكتابته من المعاني الصحيحة المطروقة

التي لم يزل أهل العلم يقولونها ويبدونها من الخث على تعلم العلوم وفنون الصنائع الخاصة
وما فيه من ذم الجهل وآثاره الصارة وما فيه من تأخر المسلمين في الفنون العصرية
وما فيه من وصف تفوق غيرهم في فنون المادة، فقد ذكر أهل العلم من هذه الأمور
أكثر مما ذكر هذا الرجل ولم يبين ما بينوه ولا شرح الداء الذي أصاب المسلمين
حقيقة ولا كيفية الدواء .

والقصود أن ما في كتابه من الحقائق لم يكن أول من قالها بل لم يزل أهل المعرفة
يقولون ما هو أتم منها وإنما المنكر القطيع والطائفة الكبرى تروى به هذه الأمور على
من لم يعرف الحقائق وجعلها له كالأساس الذي يحمل منه على الدين وأهله الجملات
المنكرة المتكررة .

مقدمة ونظرة إجمالية

في محتويات ومواضيع هذا الكتاب

من نظر فيه وتأمله بحق تأمله عرف أنه ما كتب أشد وطأة وأعظم عداوة ومحاربة للدين الإسلامي ومنفراً منه وأنه ما اجترأ أحد من الأجانب وغيرهم بمثل ما اجترأ عليه هذا الرجل ولا افترى مفتر على الدين كافترائه ولا حرف أحد له نظير تحريفاته، وما صرح أحد بالوقاحة والاستهزاء والسخرية بالدين وأصوله وتعاليمه وأخلاقه وآدابه وحملته كاستهزائه وسخريته فإنه اشتمل على نبذ الدين ومنابدته ومناقضته ثلاثة لا تبقى من الشر شيئاً إلا تضمنته فإنه صريح في الانحلال عن الدين بالكلية وخروج تام عن عقائده وأصوله فضلاً عن فروعه وهو أكبر دعاية لللاحاد . ومقاومة للدين وأهله وفيه من البهجة والتزويرات التي جعلها في صورة نصر الدين ما يعد من أعظم النفاق والكيد والمكر للإسلام وأهله (ولا يحقيق المكر السيئ إلا بأهله) .

وجملة ذلك أنه تلقى عن جميع أعداء الدين ما وجهوه إلى الدين وإلى أهله من جميع ألوان الشبه التي تدعو إلى الكفر والتكذيب بالدين وزاد عليهم زيادات واستدراك أموراً لم يصلوا إليها فإن النافين للبارى الجاحدين له كزنادقة الدهرية وفرعون وأشياعه الذين صرحوا ببحمد رب العالمين بالكلية وتكذيب رسله جهراً وعلناً ثم أظهره زنادقة الاتحاديين بأسلوب آخر وهو أن الوجود كله واجبه وبممكنه واحداً بلعين فلا ثم رب ولا مربوب ولا خالق ولا مخلوق الجميع شيء واحد، ثم أظهره هذا الكاتب صاحب كتاب الأغلال بأسلوب أشنع من ذلك كله حيث زعم أنه لا فرق بين الخالق والمخلوق وأن من فرق بينهما من الأنبياء والرسل وأهل الأديان فهو غلط ضال عنده . أعداء الرسول تنوعوا في تكذيبه فقالوا ساحر وشاعر وقالوا مفتر كذاب . وزنادقة الفلاسفة قالوا إن الرسل

كذبوا لمصلحة الناس وخيلوا للناس تخيلات خالية من الحقائق . وهذا صاحب الأغلال جاء بوجه آخر حيث حلل بزعمه حياة النبي صلى الله عليه وسلم ذلك التحليل الخبيث الباطل بأنه يتخلو بالطبيعة ويناجيها وتأخذ بلبه وعقله ويظل ليله ونهاره نازعا إليها وقد افتتح بها رسالة بخلوته بها ومناجاتها في غار حراء وختمها به حيث كان ينزع إليها وهو في سياق الموت ، ويقول في الرقيق الأعلى فهذا التحليل الخبيث الذي لا يروج على الصبيان قد أخذه بعينه من دعاة النصارى ومضلاهم إذ قالوا هذا القول الذي هو التكذيب المحض فعند صاحب الأغلال ليس ثمّ وحى ولا مناجاة لله ولا نزول جبريل بالوحى من عند الله وإنما ذلك خيال لاحقيقة فظن بجهله أنه بهذا الكلام المموه يسلم من الشناعة .

أعداء الرسل من الدهريين قالوا : (ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) وهذا القصيمى يقول : ما هي إلا الطبيعة تتفاعل وتتطور وتدير أمر العالم وتديره وتنظم الأمور الجليلة والدقيقة وأنكر قضاء الله وقدره ورجع ذلك إلى العلم بانتظام الطبيعة وهذا إنكار منه لله ولأفعاله وصفاته . وكما أنكر توحيد الربوبية فقد أنكر توحيد الإلهية والعبادة ولم يرتض بما قاله المشركون بل أنكر عبادة الله بالسكينة وأنكر الافتقار إليه وتهكم بالمفتقرين إلى ربهم الداعين لله المخلصين لربهم وملاً كتابه من السخرية بهم ، وكما أنكر الربوبية والإلهية والرسالة إذ فسر بها بذلك التفسير الخبيث الذى يرجع إلى نفي الرسالة فقد أنكر عقوبات الله ومثوباته الدنيوية والأخروية وأنكر أسبابها وسخر بالمؤمنين بها . وكذلك رمى جميع طبقات الأمة وخص منهم العلماء الأعلام وهداة الأنام بضعف العلم والعقل والرأى وأوجب الكفر بهم وبعلمهم وبما قالوه وصنفوه من كتب الحديث والتفسير والفقه والأصول والفروع وجعلهم مجرمين يستحقون العقوبة وأهدر فضايلهم بالسكينة ، وأكبر من ذلك وأطم أنه باهت وصرح بتحقير الأنبياء تحقيراً لم يصل إليه ملحد إذ صرح بأن جميع الرسل

والأنبياء والهداة من أتباعهم لم ينفعوا الناس في الحياة بشيء من النفع ولم يقدروا أن يصيروا فيها مخلوقات متألقة لهم فضائل يهتدى بها وكأرمي الأنبياء وأهل الأديان الصحيحة كلهم ولم يستثن منهم أحداً فإنه عظم زنادقة الملحدن الأولن منهم والآخرن وأوجب الأخذ عنهم والخذو على منوالهم، وحم نبذ القديم الذى فى مقدمته السكينة والسنة وما عليه الصحابة والتابعون وأوجب أن تتخذ ثقافة جديدة إلحادية ينبذ فيها الدين الصحيح ويكفر به وبمجلته ويعتقد أن الصحابة فى طور الأطفال أو طور قريب من طور الحيوانات السذج وأنهم لا يعلمون الأمور على حقيقتها وإنما يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا. وإنما العلم والفضل منحصر عنده فى الأجانب الأفرنج. وسلك مسلك الإباحين فى التهتك والإباحة وكذب ما جاء فى الكتب وعلى السنة الرسل من قصة آدم وزوجه وذريته فزعم أن الإنسان الأول مخلوق شبيه بالحيوان لا يقدر على النطق ولا التخاطب بوجه من الوجوه، ثم انتقل إلى طور الإشارات فى مدد طويلة ثم بعد مدد طويلة جداً تدرج شيئاً فشيئاً حتى انتقل إلى طور التخاطب بالألفاظ المهمة الساذجة. وكذب ما جاءت به الرسل أن الله علم آدم الأسماء كلها وأسجد له ملائكته، واتبع سفهاء الخرافين وكذب جميع النصوص من الكتاب والسنة الواردة فى الترهيد فى الدنيا والترغيب فى الآخرة وفى فضل الصبر على المصائب وثواب أهلها واستهزاء بها وبأهلها وملاً كتابه من السخریات والاستهزاءات وكل هذه الحقائق وما هو أكثر منها قد تضمنها كتابه المذكور كما سنشير إليها مفصلة مشاراً إلى صفحاتها من كتابه المذكور.

فصل

ولما كان هذا الكتاب موجهاً إلى قلب الدين وروحه وإلى هدم علومه وأصوله
وتزويد جميع مقوماته، وكان هذا الدين العظيم بذاته وحقيقته واشتماله على أعظم الحقائق
وأجلها وأنفعها وعلى البراهين الساطعة والأنوار الثلاثة يدفع ويبطل كل ما يقوم
في وجهه من الشبهات ويقاوم من الأقوال الباطلة ألحبت أن أشير إشارة لطيفة قبل
إبطال قول هذا الكتاب إلى بعض محاسن هذا الدين وأنه لا سبيل لأحد من الخلق
أن يبطل شيئاً من أصوله وقواعده وأسسـه ، وأن بهذا الدين العظيم تزول السموات
والأرض والجبال وأصوله وأساسيات وقواعده ثابتات وأبوابه مشرقة وبراهينه للبطل
مخرقة، فهو الميزان الأعظم الذي توزن به الأمور الدينية والأمور العقلية والأمور الدنيوية،
وأين عند ذلك منافاتها لقول هذا الكاتب . وهذا الرجل لا بد قد شعر أن الناس
لا يشكون ولا يعترضون في منافاة كتابه وأقواله للدين ففراه في مطاوى كتابه يعتذر ويدعى
أنه مؤمن بالله ورسوله وبريء من الإطجاد . أفيظن أن الناس يقيمون لاعتذاره وزناً ،
وكيف تقع اعتذاراته الطفيفة النافهة في جانب حملاته الشديدة على الدين والحث البليغ
على نبذه وعلى سلوك طريق الملحدين . كيف يقبل اعتذار من هو بمجد مجتهد في هذه
المواضيع الغريبة الباطلة فهل هذا إلا من باب السخرية والتمويه على الأغرار ، ونحن
نكتب ما يجب علينا كتابته من رد اعتدائه على الدين والتنبيه على بطلانها كما هو
الواجب التعمين على كل مسلم ، ونرجو الله أن يعيده إلى الحق بالثبوت والتوصل ونقض
ما كتبه واجترأ عليه . (واعلم) أن مدار ما يفتي عليه بحجته الباطلة واحتج لها وبرهن
عليها ورفضها أمران (أحدهما) أن المسلمين في هذه الأوقات الأخيرة متأخرون عن
العلوم والفنون المصرية والاختراعات والصناعات الراقية وعلوم الطبيعة . تأواغها .
(والثاني) أن غيرهم مهيمن في هذه الأمور مهارة لا تتصورها الأفكار، ثم يفتي على هذين

الأمرين جميع بحوثه الباطلة ورتب على ذلك أنه يجب رفض ما عليه المسلمون من عقائد وأخلاق وعلوم وأعمال ، وقرر في كتابه أن الدين الإسلامي أغلال وقيود قيد الإنسانية عن التقدم والارتقاء في درج الكمال، وفي مقابلة ذلك حث ورحب بكل ما أتى به الآخرون من مفلسد وعقائد وأخلاق وأعمال وخير وشر وقرر أن هذا هو الرشيد والفلاح وبدء النجاح . وكتابه كله يدور على هذا الأصل الذي يعرف كل من له أدنى بصيرة أنه بنيان على شفا جرف هار وأن أقل نظر يوجه إليه وأقل برهان يقابله يبطله وأن هذا الاستدلال هو بالترهات والبهرجات أولى منه بالحقائق الثابتة ؛ فإذا تبين بطلان أصله الذي بنى عليه جميع بحوث كتابه بطل كل ما بنى عليه ، فنشير هنا إلى هذا ثم نتبع ما اشتمل عليه كتابه من المواضيع الفاسدة (فنقول) : الدين الإسلامي هو دين العدل والرحمة والعلم والحكمة وهو دين المدنية الزاهرة المبنية على صلاح القلوب والأرواح وصلاح الدين والدنيا ، وعلى السعى إلى الكمال والرقى في معارج السعادة والفلاح وهو الدين الذي حث على كل خير ونفع وصلاح وإصلاح وهو الدين الذي ساوى بين طبقات الخلق في القيام بالعدل والحقوق فلم يبيح الظلم بوجه من الوجوه فالغنى والفقير والشريف والوضيع والقوى والضعيف والعزیز والدليل كلهم عنده سواء قد شملهم عدله ورحمته وهو الدين الذي يحث على القيام بما خلق الله الخلق لأجله وهو عبادة الله وحده والالابة إليه والتعبد له ظاهراً وباطناً ودوام الافتقار إليه ، وهو الدين الذي يأمر بجميع معالى الأخلاق ومحاسنها وينهى عن جميع مساوئها وأراذلها ، وهو الدين الذي تصلح به الأحوال فكما حث على القيام بإصلاح الدين فقد حث على القيام بمصالح الدنيا النافعة وكما أمر بتعلم العلوم والفنون التي ترجع إلى الالابة إلى الله وعبوديته فقد حث على تعلم العلوم والفنون التي تعين على قيام حياة الأمة وإصلاح أحوالها واستعدادها لمقاومة الأمم الأخرى ومغالبتها والوقاية من شرورها وأضرارها ، وكما أمر بتعلم علوم التوحيد والعقائد والأخلاق التي ترجع إلى صلاح القلوب والأرواح فقد أمر

بالعلم والتفقه في الأحكام التي ترجع إلى القيام بالصلوات للظاهرة والمعاملة المادلة والقيام بجميع الحقوق المتنوعة على وجه الوفاء والعدل وموافقة الحكمة وكذلك أمر بتعلم الفنون الحربية والآداب العسكرية ، والاستعدادات السياسية والصناعات النافعة فقال : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وهذا شامل لكل ما يتعلق به الاستطاعة من أنواع العلوم والفنون العسكرية الموجودة في وقت التزويل والتي تحدث إلى يوم القيامة من قوة عقلية وسياسية داخلية وخارجية وصناعات نافعة وتعلم ربي وركوب وسائر الفنون التي لا تتم مقاومة الأعداء إلا بها ، وقال : (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) فأمر المؤمنين بأخذ حذرهم من عدوهم وهو التوقي والوقاية والاحتواء من عدوان الأعداء بكل وسيلة وسبب تحصل به الوقاية من شرهم ومكائدهم وأسلحتهم ومدخلهم ومخارجهم وذلك يختلف باختلاف الأحوال والأزمان . وكل آية أو حديث فيه الأمر بالجهاد والحث عليه فانه يدخل فيه القيام بجميع الشؤون التي تعين على الجهاد ويختلف ذلك باختلاف الأحوال والأزمان والمشكلات ولهذا سأل البراهين على أن هذا الدين والشرعية تنزيل من حكيم حميد عليم بكل شيء فان إرشاداته المالية كما ترى تصلح لكل زمان ومحل بل لا تصلح الأمور إلا بها ، وكما أنه أمر بالاستعداد بالقوة المادية فقد أمر بالاستعداد بالقوة المصنوية حيث أمر الناس وحثهم على الاجتماع والالفة بين المسلمين والاتفاق على جميع مصالحهم الكلية كما أمر بذلك في المصالح الجزئية في كل ما يأتون وما يذرون في أحوالهم الداخلية وأحوالهم الخارجية ، وأمرهم بالإيمان الكامل والتوكل القوي على الله وتمرن النفوس على القوة والشجاعة والتدريب في كل أمر نافع في الدين والدنيا ؛ فالدين يحثهم على القيام بجميع الأسباب النافعة التي تصل إليها أقوام واستطاعتهم وعلى التوكل على مسبب الأسباب وخالقها ومديرها ، وبين لهم أن الأمرين متلازمان لا يقوم أحدهما إلا بالآخر فالأسباب وإن عظمت وقويت فإنها محكومة بقضاء الله وقدره ولا يتم للقائم بهنأ أمره

من كل وجه إلا بتوكله واعتماده على الله تعالى مسبها ومصرفها والقابض على ناصيتها وأزمتها، ويخبركم الدين مع ذلك أن التوكل وحده بدون فعل الأسباب وبدون القيام بالمقدور من الشئون الدينية والدنيوية ليس بتوكل حقيق بل هو ضعف وعجز ، فكلما قوى توكل المسلمين على ربهم قوى أعمالهم النافعة وقويت همهم ، وانبعثت عزائمهم إلى جميع مصالحهم ، والرب تعالى لقيامهم بالأمرين وتحقيقهم للتوكل عليه واجتهادهم في فعل الأسباب يعينهم ويسر لهم أمورهم ويحقق لهم رجاءهم وينزل عليهم من نصره ومعونته وتأيدده بحسب قيامهم بالأمرين . والنصوص من الكتاب والسنة تحت على الأمر بالتوكل على الله في كل الأمور ، والأوامر بالأخذ بجميع الأسباب النافعة لا تنحصر بل الدين كله قيام بالأسباب وتوكل على مسبها ومصرفها . وهذا الذي نهينا عليه من الدين الإسلامي هو من الكمال الذي لا يقاربه كمال ، ويسقط به ويضمحل قول هذا الكاتب الذي يقول إن الإيمان بقضاء الله وقدره والتوكل على الله يوهن المسلمين ويضعفهم وأنه يجب عليهم ترك ذلك وأن التوكل على الله هو العلم بنظام الطبيعة ، وكذلك الإيمان بالقضاء والقدر كما صرح بذلك في صفحات (١٧) و (٢٩) و (٢٦٨) و (٣١٥) من كتابه ، ويتضح بذلك أن المسلمين حقيقة المتبعين لإرشادات دينهم وتعاليمهم المتوكلون على الله حقيقة وأنهم أقوى الخلق على فعل الأسباب امتثالاً لأمر ربهم وطلباً لمصالحهم واستعداداً من قوته وارتقاباً لثوابه ، وأن الدين الإسلامي يبطل الطريقتين الذميتين : طريق العجز والضعف الذي يتعلل صاحبه أنه متوكل على الله وإنما هو مهين ساقط الهمة معتذر بما لا يعذره ، وطريق الماحدين المعطيين الذين يعتمدون على الأسباب ويرونها مستقلة منقطعة عن قضاء الله وقدره وأن الله لا يتصرف في الأسباب عندهم بإيجاد ولا تقوية ولا إضعاف ولا بجمعها ولا له قدرة على معارضتها كما قرره صاحب هذا الكتاب في ثانيا كتابه خصوصاً في الفصل الأخير المعنون بمشكاة لم تحل ، وهذا هو التعطيل المحض والنفي لربوبية الله ولأفعاله ، وهو في الحقيقة مذهب الدهريين الطبايعيين الجاحدين لله

بالكلية، وقد سلك أيضاً مسلك الدهريين في هذا الذين يقولون ما هي إلا حياتنا الدنيا
نموت ونحيا، المنكرين للثواب والعقاب حيث أنكر أن الإيمان والتقوى والعمل الصالح
سبب للثواب العاجل والآجل وأن الكفر والفسوق والعصيان أسباب للعقوبات العاجلة
والآجلة ، وتهكم بذلك وبالقائلين به المعتقدين له كما صرح به وردده في الصفحات
(٣٥) و (١٦٥) و (١٧٨) و (٣١٥) و (٣١٩) و (٣٢٥) والسبب الوحيد عنده في
المصائب الدنيوية وضدها إنما هي الأسباب المادية فقط وعمل الطبيعة. ثم لم يزل يقرر
هذا الأصل الحيث حتى زعم أن الإيمان بالله وباليوم الآخر يمنع الرقى ويمنع كون العبد
سبيلاً منتهياً بأعماله وأنه غل ورباط يمنع من الخير والصلاح وأن الأديان السماوية
أكبر المصائب على البشر. وقول وصل إلى هذا الحد ليس بعده تقدم إلى الكفر وإنما
هو النهاية في الكفر والتعطيل والجحود لرب العالمين والخروج من الديانات السماوية
كلها وهو غاية الخروج من العقل والحس، فإن قضية الإيمان بالله ورسوله هي أكبر
القضايا وأعظمها وأوضحها وأجلها براهين وأدلة وإثبات أنه هو الفعال لما يريد الخالق
لكل شيء الذي يدبر الأمور كلها ويكرم الطائعين ويعاقب العاصين فلا ينكر ذلك
إلا مكابر مباهت منحل من العقل الحقيقي بعد انحلاله من الدين ، والمقصود أن صاحب
الدين الصحيح هو أقوى الناس توكلًا على الله تعالى وعملًا بالأسباب النافعة لأنه يعلم
أن دينه يحتمه على ذلك وقد استصحب التوكل على الله والثقة به وأن الله لا بد أن يتم
أمره وخصوصاً الأسباب الدينية والأسباب المعينة على الدين فأنها من الدين في الحقيقة
لأن الدين هو جميع ما دل عليه الكتاب والسنة مطابقة والتزاماً وتضمناً ، فهذا الدين
لم يدع خيراً إلا دعا إليه ولا منفعة إلا أحت عليها ولا طريقاً يوصل إلى إصلاح الأحوال
الدينية والدنيوية النافعة إلا رغب فيه ، ولا مفسدة وشرراً إلا حذر منه ، وأمر
بالتخذ الوسائل الواقية والدافعة، فياومح هذا الكاتب القصيمي الذي زعم هذا الزعم
الباطل أنه مانع من التقدم والرق ومجاعة الأمم الراقية في الحياة . وهل رقت هذه الأمم

وسبقت غيرها في الاختراعات والفنون الصناعية المدهشة إلا بعد ما أدخلت عليها تعليمات هذا الدين^(١) واقتبسوا أصل هذه الصناعات من المسلمين بعد الحروب الصليبية وغيرها . ألم يكونوا في غابر الزمان والقرون التي يسمونها القرون المظلمة في غاية الجهل والوحشية والهمجية في معرفة هذه الفنون والصناعات . ألم يكن المسلمون وقت قيامهم الحقيق بهذا الدين هم سادات الخلق الذين قهروا بفضل دينهم وأخلاقه وتعاليمه العالية جميع الأمم وحطموها وأفنوا صروح أكبر دول الأرض يومئذ . ألم تكن مدينة الدين الإسلامي هي المدينة الزاهرة الحقيقية حيث كان روحها الدين والعدل والرحمة والحكمة . وقد شملت بظلمها الظليل وإحسانها المتدفق الموافق والمخالف والعدو والصديق . ألم يخرم دينهم ومنعهم الرقي الحقيق ؟ ، وهل نفع الآخرين كفرهم بالله وبربوبيته وإلهيته في تلك القرون الطويلة إذ كانوا هم الأذلين المخذولين في مواقف الحياة كما زعم هذا الكاتب الذي يهرج على من لا يعرف الحقائق . ثم لما ترك المسلمون الاستمساك بتعاليم دينهم وتفرقوا شيعاً ، وارتقى الأجانب في علوم المصنعة وفنون الصناعات والاختراعات ووصلوا إلى أمر لم يسبق له مثيل فهل أغنت عنهم هذه المدنية وهذا الرقي ، وهل وفهمهم الشورور إذ كانت مدنيّتهم مبنية على الظلم والجشع والطمع المفرط وطلب استعباد الخلق ولم يكن معها من روح الدين ورحمته شيء . . فهل ردت عنهم هذه الملاحم والمخازم

(١) يريد الشيخ حرية الفكر وعدم التقليد، والخروج على سلطة الظلم الكنسية والزمنية وحرية البحث، إلى ما استفادوه من المسلمين أيام الحروب الصليبية وبعدها ، وكذلك في أيام الأندلس الزاهرة .

قال فلاسفة الفلك الأمريكي : قد استولت الكنيسة ستة قرون فلم تنجب فلكياً واحداً ، وقد أنجب الإسلام - في قرنين الكثير من علماء الفلك والطب والطبيعة والكيمياء . نقله الأستاذ الإمام في رسالته : «الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية» .

البشرية والاهلاك والتدمير الذي لم يسبق له نظير ولا مقارب في تاريخ الخليقة . وهذا من أكبر البراهين على أن الرق في هذه الحياة إذا خلا عن الدين الحق صار ضرره أكبر من نفعه وشره أكثر من خيره إذا كان فيه خير كما زعمه هذا الكاتب . فلو كانت هذه الأمم الراقية في الفنون المصرية معهم من صحيح وبنوا حضارتهم على الرحمة والعدل والحق والتسوية بين الخلق وبين الأمم القوية والأمم الضعيفة في الحقوق فما منك أن تصل بهم هذه الحضارة وماظنك بما ينكف بها من الشرور العظيمة التي جرت وهي جارية وستجري ما داموا على حالهم .

أما تأخر المسلمين الآن في الفنون المصرية والاختراعات والصناعات وأشباهاها فليس هذا التأخر منسوباً إلى دينهم ، فليس في دين الإسلام أصل من الأصول أو فرع من الفروع يوجب على أهله التأخر بوجه من الوجوه ، وإنما الأمر بالعكس كما تقدم التنبؤ عليه بأن الدين الإسلامي قد جمع بين المصالح الدينية والدنيوية وحث على جميع المنافع وعلى الأعمال النافعة والعلوم النافعة عكس ما رماه به هذا الكاتب من الجور والتأخر ومناقاة الحضارة والتقدم وخدمة الحياة بزعمه ، وإنما السبب الوحيد الذي أخرهم في هذه الفنون هو ترك الاستمسك بروح الدين ومقوماته وترك الأخذ بما يحث عليه من الاجتماع والائتلاف واتفاق الكلمة ، والتشاور في الأمور كلها ، وترك الأغراض الشخصية للمصالح الكلية ، وتركهم الجهاد القولي والبدني والمالي وهو مقاومة الأعداء بكل وسيلة تناسب الزمان والمكان بحسب الاستطاعة . فالدين يحث على الأخذ التام بهذه الأمور التي لا تقوم للأمم بدونها وهم كسلوا وغفلوا عنها علماء وعملا وأهلوا مصالحهم ومالوا إلى الترف والدعة والرضوخ والاستعلاء للأجانب فلما رآهم الأجانب بهذه الحالة المؤلمة لعبت بهم سياستهم وفككتهم وفرقتهم زيادة على ما اتصفوا به من التنافر والاختلاف ، وعلى ما زهدوا فيه من الجهاد ومقاومة الأعداء ، واستعبدوهم بكل حيلة وحلوا مغنوتهم وروحهم الدينية وصاروا يضربون بعضهم ببعض ويقيمون لهم من جثثهم ومن بني

قومهم ممن يسمى بالإسلام من يقيم الدعايات الباطلة في تزويدهم من هذه الحال الحرجة
ومن يفت في أعضادهم ويخذ أعصابهم ويسعى بكل مقدوره في تأسيسهم من التقدم
وفي إماتة همهم كما ترى هذا الكاتب الذي توسل باسم الدين والغيرة على المسلمين ،
وسعى في نبذ الدين ومحاربه بهذه الطريقة التي أربت على طرق المنافقين . وزعم من
بهرجته التي لا تروج على أحد أن المسلمين على اختلاف طبقاتهم من الصحابة والتابعين
والقرون المفضلة وأصناف المحدثين والمفسرين والفقهاء والأصوليين وسائر طبقات الأمة
كلهم زعم أنهم لم يفهموا الدين وأنه مستحيل أن يسعوا في مصالحهم ، وغير ممكن لهم
ذلك إلا ببذره وأنه قيود تمنع التقدم كما صرح بذلك في صفحات (١٧) و (٣٦)
و (٦٨) و (٦٧) و (٧٧) و (٩٧) و (١٤٠) و (٣١٥) من كتابه ، وهذه دسيسة
خبيثة ، فإن كل أحد عنده أدنى تمييز يعلم حق العلم أن هذه المباحث التي اشتمل عليها
كتابه منافية للدين بالكلية ومناقضة له من كل وجه ولكنه جاء بهذه الوسيلة ليقول
المفترون ليس دين الإسلام ما فهمه المسلمون والأئمة والعلماء على اختلاف طبقاتهم وإنما
هو شيء آخر مجهول عندهم ، وقد علمه هذا الكاتب وهو ما أراده وسعى إليه من معاقبة
دين الملحدين ورفض دين المسلمين وسائر المرسلين .

ثم إن هذا الكاتب لم يكفه أن يقدح في هؤلاء المتأخرين من المسلمين بل وصلت
به الحال إلى أن قدح في خير القرون وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان وأئمة الدين
والهدى حيث زعم أنهم لم يفهموا من دينهم وكتاب ربهم وسنة نبيهم إلا ظاهراً من
الحياة الدنيا وأن معارفهم وعلومهم النافسة كلها بالنسبة إلى معارف المتأخرين من
الملحدين كنسبة معارف الأطفال إلى العقلاء الراشدين أو أقل من ذلك ، وحث غاية
الحث على رفض مقالة هذه القرون المفضلة ، وأنه يجب تعليم الناس الكفر هؤلاء
الأئمة وبمعارفهم وفصائلهم وما قالوه وعملوه أو ورثوه ، وتهكم بمن يدعو إلى الأخذ بما
أخذ به الأولون وملاً كتابه من هذه المواضع الخبيثة والوقاحة والجراعة التي لم يرتكبها

غيره كما صرح به في صفحات (١٤) و (١٦) و (٢٩) و (٦١) و (٦٤) و (٦٦) و (٦٧) و (٦٩) و (٧٠) و (٨٥) و (١٢٠) و (١٤٠) و (١٧٠) و (٢٩٣) و (٢٩٦) و (٢٩٨) و (٣٠٢) و (٣٠٣) و (٣٠٨) و (٣١١) و (٣١٥) فيا ويحه ما أخسر سمعته وأقل حياءه وهل يشك أحد أو يرتاب مسلم أو منصف ولو كان من غير المسلمين أنه لم يوجد ولن يوجد أحد أكل علماً وفضلاً وأخلاقاً وعدلاً ورشداً وعقلاً وكالاً في كل الحاصل الطالعة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأنه ما وصل لأحد غيرهم خير وفضل وعلم إلا على أيديهم. وقد كذب في كتابه هذا ما كتبه عنهم في كتبه السابقة، وقد شذبت الأعم الأفضلية بكمال فضلهم وشمول رحمتهم وعدلهم. قال جوستاف لوبون فيلسوف فرنسا الشهير: ما عرف التاريخ فاتحاً أعذل ولا أرحم من العرب. وكانوا إذا فتحوا البلدان وجرت عليها أحكامهم العادلة وشفقتهم على بني الإنسان امتلأت قلوب الأجانب من محبتهم وتمنوا دوام ملكهم وسلطانهم واختاروهم على قومهم وأهل دينهم مع أن النفوس مجبولة على التعصب لما ألفت من الأديان والأوطان والأنساب والمذاهب. فلولا أنهم رأوا من رحمتهم وعدلهم ما لم يشاهدوا له نظيراً لم يخضعوا كل هذا الخضوع ويمطوا ما بأيديهم مدعنين راغبين غير مقهورين على إرادتهم، فانهم يجدون الفرض الكثيرة لحدوث الثورات، ولكن الرحمة والعدل من المسلمين أوجباً لهم السكون والطمأنينة لظل هذا الدين القويم. وهذا الكاتب يعلم حق العلم أنه كذب نفسه بنفسه وأنه ناقض في كتابه هذا ما كتبه في كتبه السابقة، ولهذا جعل يندب نفسه ويندم من يتخسر وينوح على زمانه الماضي وكيف قضاءه في عبادة الله ومتعلقاتها لأنه لا يحيل أن الناس يعرفون منه هذه الحالة، ولهذا كان الكلام معه في هذا الكتاب لا يشبه الكلام مع البتدعين من المسلمين الذين يعظمون الدين ويؤمنون بالله ورسوله، وإنما يتكلم معه كما يتكلم مع الأجانب عن الدين والكافرين به وينظر كما ينظرون لأنه في كتابه هذا كشف النظام وصرح بالمظالم الكبرى النافية لدين الإسلام الملكية.

ثم إن هذا الكاتب يزعم أن تلك القرون المفضلة التي لم يشاهد الناس لها مثيلاً في
الجلال والجمال والكمال لم تبلغ رشدها بل هم في طور الطفولة ، وعنده أن الرشد
والكمال الفضل منحصر في الماديين من الملحدين كما صرح به في تلك الصحائف
آتفة الذكر. والسبب الذي أدام إلى هذه المقالات الجائرة المنحرفة أن الفضل منحصر عند
في شيء واحد وهو عبادة الطبيعة ووجوب إعطائها القلب والقالب والظاهر والباطن ،
والانصراف بالكلية إلى هذه الحياة فقط والتمتع بزهرتها والانحلال عن القيود الدينية
وإباحة جميع ما تشبهه النفوس وإطلاق العنان لها . كما أطال في هذا الموضوع وردد
فيه الكلام الساقط ثم في مقابلة ذلك التحامل على كل ما يعارض هذا الطريق والتعدي
بالدين وحملته ، فإذا كان هذا هو الكمال عند هذا المنحرف لم يستغرب بعد هذا قدحه
في خير العالمين وسخريته من علومهم وأخلاقهم وأعمالهم وما هم عليه في جميع الأحوال
فصار منطبقاً عليه وعلى أمثاله غاية الانطباق قوله تعالى : (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات
فرجوا بما عندهم من العلم وحق بهم ما كانوا به يستهزئون) ولهذا ارتكب العظام في
تحليله لحياة النبي صلى الله عليه وسلم وشخصيته الكريمة بكلام طويل مررد
كقوله كان يعبد الطبيعة وأنها قد أخذت بقلبه وقلابه ولبته وأنه كان يناجى الليل
والنهار والضياء والظلمة والنسيم ونحوها مما يشاهد ، وأنه افتتح رسالته بمناجاة الطبيعة
والخلوة بها في غار حراء ، وختم رسالته وحياته بشدة النزوع إليها وقت السياق حيث
كان يقول في الرفيق الأعلى. وهذا بعينه قد أخذه من دعاة التصاري المقتريين الذين لما
بهرهم ما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم من الدين الحق والتعاليم العالية والرق الكامل
والفتوح الباهرة والآثار التي لم يحصل عشر معشارها لأحد من الخلق طفقوا يهجون
على الناس ويحلمون حياته (ص) تحليل أحد رجال الطبيعة يعنى الذين لا يؤمنون بالله
وملائكته وعالم الغيب من الأرواح والجن بله الدار الآخرة وما وراء الحسوسات
والملموسات فأخذ عنهم هذا المأخذ الخبيث وأنكر الوحي والرسالة بهذا التحليل . ويرى

النبي صلى الله عليه وسلم بأنه طبيعي لا يعرف الله ولا يعرف الوحي فلم ينزل عليه جبريل من عند الله ولا كان يناجي الله ولا يعبد ، ولا كان عند السياق إلا مشتاقاً إلى الطبيعة فقط لأنه لا يعرف الله ولا يريده ولا يحب ولا يطلبه عند هذا الكاتب الذي تجرأ على ما لم تجرأ عليه من يتسمى بالإسلام من الملحدين . ولا تستغرب هذا عليه فإنه سيأتي أنه صرح تصريحاً لا تردد فيه بالكفر بالأنبياء والرسل كلهم ، وصرح أنهم لم ينفعوا الخلق بوجه من الوجوه ، فمن كانت هذه وقاحتها وتصريحاته فلا يستبعد عليه شيء . وظهر بهذا عرضه الوحيد وهو العناية البليغة إلى نيل الدين وأصوله ومحاربتها بكل طريق . ومن فضل الله أن طريقته في كتابه قد عرفها الناس وعرفوا ما ترمى إليه من الغليات وعرفوا الأيدي المحركة لها ، وبأخذهم العجب الكبير كيف صار هذا الرجل بعد سوابقه فريسة لأعداء الدين وآلة لهم صماء في طريق مآربهم ومقاصدهم فنسأل الله أن يهدينا وإخواننا المسلمين وأن لا يزيع قلوبنا بعد الهداية . والقصود أن هذا الكاتب جعل الفضل كله في جانب الأتباع الكفار ، ولم يدرك ، أو درى وتجاهل وهو الأحرى بمثل هذا الرجل - أن الفضل الحقيقي هو السعي في طرق الكمال والتخلق بكل خلق جميل والتزهد عن كل خلق رذيل وهو الفضل الذي يرق القلوب والأرواح ويوصل أهلها إلى أعلى الغايات وأشرف السعادات الذي أصله وأساسه العقائد القلبية المؤسسة على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره والأعمال القلبية التي مدارها على الإنابة إلى الله ، وانجذاب دواعي القلب كلها إلى الله رغبة ورهبة ومحبة وخوفاً ورجاء وقصداً وطلياً وتمبداً وتألهماً وإخلاصاً صادقاً لله وحده لا شريك له . ثم القيام بالشرائع الظاهرة من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت الحرام والجهاد في سبيل الله ، وما يتبع ذلك من القيام بحقوق الوالدين والأقارب والجيران والأصحاب والماملين وقضية الحقوق كلها بالعدل والإنصاف وعدم الظلم والجور على القريب والبعيد والمعدوم والصديق ، وبذل الجهد بالقيام بكل ما يعين المسلمين على أمر دينهم والاستعداد الكامل

لِقَاوِمَةِ الْأَعْدَاءِ وَالسُّمَى فِي جَمْعِ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَمَحَبَّةِ الْخَيْرِ لَهُمْ وَتَحْصِيلِهِ بِكُلِّ مَقْدُورٍ ، فَإِذَا كَانَ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْحَقِيقِيُّ وَهُوَ كَذَلِكَ ، فَقَدْ عَلِمَ كُلُّ مَنْ لَهُ أَدْنَى تَمْيِيزٍ أَنَّ لِلصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ مِنْ هَذَا أَوْفَرَ الْحِظِّ وَالنَّصِيبِ وَأَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَوْقَ جَمِيعِ طَبَقَاتِ الْأُمَّةِ فِي كُلِّ فَضْلٍ وَعِلْمٍ وَعَمَلٍ ، كَمَا أَنَّ الْأُمَّةَ أَكَمَلَ الْأُمَمِ فِي كُلِّ فَضْلٍ وَخَيْرٍ وَأَكَمَلَ الْأُمَمِ الْمُنْتَسِبَةَ إِلَى الْأَدْيَانِ فَكَيْفَ بِالْأُمَمِ الْمُنْحَلَةِ الْمَعْطَلِينَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِينَ انْحَلَوْا مِنْ عِبَادَةِ الرَّحْمَنِ فَعَبَدُوا الطَّبِيعَةَ فَتَبَيَّنَ لِمَنْ آثَرَهَا بظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ عَلَى اللَّهِ بُنَى لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا . وَزَعَمَ هَذَا الْكَاتِبُ أَنَّ التَّقِيدَ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَبِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ قَيْدٌ وَغُلٌّ يَحُولُ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَبَيْنَ الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ النَّافِعَةِ وَيُقَيِّدُهُ عَنْ مَحَبَّةِ الطَّبِيعَةِ الَّتِي هِيَ الْغَايَةُ عِنْدَ أَثْمَالِ هَؤُلَاءِ ، فَيَحْقُقُ لِمَنْ كَانَ هَذَا مُنْتَهَى مِرَادِهِ وَطَلَبِهِ أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَفْءَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ مَا أَوْهَمَ النَّارَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « مَنْ كَانَ يَرِيدَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نَوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا » إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ ، ثُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنْحَرِفِينَ الْمُلْحِدِينَ الَّذِينَ انْخَدَعَ هَذَا الْكَاتِبُ بِدَعَائِهِمْ الْخَيْبَةِ يَدْعُونَ إِلَى نَبْذِ كُلِّ قَدِيمٍ وَاعْتِنَاقِ كُلِّ جَدِيدٍ ، وَقَدْ أَبْدَى هَذَا الْكَاتِبُ فِي هَذَا وَأَعَادَ وَكَرَّرَ ذَلِكَ مُرِيدًا يَهْدِمُ الْقَدِيمَ هَدْمَ أَصُولِ الدِّينِ وَقَوَاعِدِهِ كَمَا تَجَدَّدَ فِي صَفَحَاتِ (١٦) وَ (٣٧) وَ (٦٤) وَ (٦٩) وَ (٧٠) وَ (٩٦) وَ (١٦٠) وَ (٣٠٢) وَ (٣١١) مِنْ كِتَابِهِ وَغَيْرِهَا مِنَ الصَّفَحَاتِ . وَهَذِهِ الدَّعَايَةُ الْخَيْبَةُ مَقْصُودُهَا الْأَعْظَمُ وَأَسَاسُهَا الَّذِي بُنِيَ عَلَيْهِ رَفْضُ الشَّرَائِعِ وَالْأَدْيَانِ وَالْإِنْحِلَالُ مِنْ قِيُودِ الدِّينِ وَحُلُّهُ وَتَحْرِيمُهُ وَجَمِيعُ أَحْكَامِهِ وَالْإِنْخِرَاطُ فِي سَلَكَ الْمَعْطَلِينَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ الْمُنْحَلِينَ مِنْ جَمِيعِ شَرَائِعِ الدِّينِ وَأَوَّلَ مَا يَدْخُلُونَ فِي هَذَا الْأَصْلِ الْبَاطِلِ رَفْضُ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَصُولٍ وَأَخْلَاقٍ وَأَعْمَالٍ وَغَيْرِهَا وَتَوَصَّلُوا بِهَذَا إِلَى الطَّمَنِ فِي خَيْرِ الْمَقَرَّةِ وَإِهْدَارِ أَقْوَالِهِمْ وَعَقَائِدِهِمْ وَعُلُومِهِمْ ، بَلْ وَجَمِيعِ مَحَاسِنِهِمْ وَالْحُلُّ عَلَى حَمَلَةِ الشَّرِيعَةِ

وأئمة الهدى ومصابيح الدجى كما أشرنا إلى الصفحات الموجودة فيها ذلك .
ثم إن ههنا الكاتب بهرج على من لم يعرف الحقائق بالاستدلال بأحوال
المشركين من الصوفية والخرافيين ومن تسمى بالدين وهو منه بىء ، وأورد من
أخبارهم وخزعبلاتهم ما يظن أنه يروج به باطله حيث نسبته إلى حملة الدين وهو يعلم
حق العلم أن الدين وأهله الذين هم أهله هم أيدي الناس عن هذه الخرافات وأعظم
التكبر والجهل وأهم يبرءون منها وينزهون الدين الإسلامى عنها ، فكيف لا يستحى
أن يستدل بأحوال ابن عربى وخرافات الشعراى وشططحات المتصوفة على الدين وأهله
وأن يفتخر بالدين والدين وحمله الدين ، وهو يعلم حق العلم أن الإسلام بىء
من هذه الأمور والشططحات والخرافات ، فكيف لا يستحى من هذه البهرجة
والتناقض ، أظن الناس كالبهايم المجمع التي لا تفهم شيئا ، أم سحر عقله فصار يهذى بالباطل
وما يظن به صدره من النبل والإحاد ، ألم يعلم أن الدين وأهله الذين هم أهله الذين عرفوا
الحقائق وميزوا بين الحق والباطل والمحقين والمبطلين ينفون عنه انتساب كل مبطل
كما ينفون عن عقائده كل باطل ، وأن المبطل لا يروج أمره عليهم بمجرد انتسابه إلى
الدين ، فكم انتسب إلى الدين من الزناوة والفساد والظلمة من هؤلاء من هو شر من اليهود
والنصارى ومن جمع بأحوال من انتسب إلى الدين وأهله فهو من المذنبين المبهرجين
وكذلك من أجمع بالأخبار والحكايات الباطلة على الدين فهو مقتر كذاب كما فعل هذا
الكاتب وملا كتابه من الخرافات والحكايات السكافية ونسبها لأهل الدين ليتوصل
بذلك إلى القبح فيه وفي أهله ، والدين كما يظهر كل من له بصيرة أنه نقي خالص حق
في أصوله وفي فروعه وفي أخلاقه وآفاده وتعاليمه جميعها في غاية العلو والسمو والمكانة
العالية التي لا يجتمع جميع العقلاء أن يفتخروا أحسن منها أو ما يقاربها المعجزات
التي لا يقدرون على ذلك لأنه تنزيل من حكيم حميد لا يأتيه الباطل من بين يديه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ولا من خلفه ويعرف هذا بتتبع أصوله وفروعه (ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) أى يهدى لأصلح الأمور من العقائد والأخلاق والآداب والأعمال للأسباب وغيرها فليات هذا الكاتب أو غيره بمثله إن كانوا صادقين ، فإن الدين الإسلامى قد فصل الحقائق ، وبين المناهج الصحيحة والطرائق ، وميز بين الحق والباطل ، وبين أولياء الرحمن من أولياء الشيطان ، وبين الخير والشر ، وبين العلوم النافعة التى تنفع الخلق فى دينهم ودنياهم من العلوم الضارة التى هى بضد ذلك ، وهذا الرجل يدعى أن العلوم كلها نافعة وليس فيها شيء ضار بوجه من الوجوه ، والله يقول : (ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) فالدين هو الميزان الذى توزن به الأقوال والأفعال ، ويعرف به العاطف من الخبيث والنافع من الضار ، فمن رفض من هؤلاء الملاحظة القديم ، وعنى به هذا الدين الحق فإنه فى حقيقة الأمر قد رفض جميع الحقائق الثابتة ورفض العلوم والأعمال النافعة . فمن أين لهذا النشء الحديث علوم نافعة وأعمال نافعة إلا من معين هذا الدين . من أين لهم أن يعرفوا رب العالمين بأسمائه وصفاته الذى هو أجل المعارف وأكبرها وأصلها ، ومن أين لهم أن يوجدوه ويؤمنوا به وبما جاءت به الرسل إلا من هذا الدين ، ومن أين لهم أن يقوموا بحقوقه وحقوق خلقه العادلة الفاضلة ، ومن أين تأتيمهم إلا من هذا الدين ، ومن أين لهم أن يهتدوا للأخلاق الجميلة ويتزهدوا عن الأخلاق الرذيلة إلا من هذا الدين . ومن أين لهم أن يعرفوا الصراط المستقيم المحتوى على الحق علماً وعملاً إلا من هذا الدين القويم ، ومن أين لهم معرفة الشرائع والأحكام والحلال والحرام والعقود والمهود والشروط والحدود والمواثيق وتوابعها إلا من هذا الدين ، ومن أين لهم الطريق الذى أدركوا به تعلم الصناعات وأنواع الفنون والمخترعات النافعة إلا بعد أن نشر هذا الدين ظله على الخلق فأشرقت على الأرض أنواره فاقبلس من هذا النور كل أهل علم نافع فى الدين والدنيا كل أحد بحسب مشربه ، فإن هذا الدين هو الذى أسس أصول الصناعات وقواعدها النافعة ، وأمر بها حيث يكون

فيها مصلحة للدين ومنافع للناس كافة كما تقدمت الآية الكريمة : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) الآية وقوله : (وخذوا حذركم) ، وقوله : (وأزلنا الحديد فيه بأمر من ربنا) الآية (ومنافع للناس) وامتق على الإنسان بأن علمه مالم يعلم من جميع العلوم والفنون النافعة ، فهذه علوم الشريعة على وجه التنبيه والاحتضار كما ترى العلم بقوله نافع إذا دخل فيها وهل بقيت مفارقه يحتاج الخلق إليها في أمور دينهم ودنياهم إلا احتوى عليها وهل من جهة وسيلة وسبب وطريق من الطرق النافعة إلا واشتمل عليها . فإذا تأمل هؤلاء الملحدون القديم وعنوا به دين الإسلام فقد رفضوا جميع الأمور النافعة فليس من حقهم أن يؤسسون عليه علومهم وأعمالهم ، فهؤلاء الذين يذمون القديم ومؤلف كتاب الاغلال حامل رأيهم مرادهم بذلك التوسل إلى رفض الدين الإسلامي بل صرحوا بمرادهم ، ومع ذلك فهم كذبة يتناقضون في هذا الإطلاق فإنهم يذهبون إلى تقليد أرسطو وأفلاطون والفارابي وابن سينا ونحوهم من ملاحدة الأولين والآخرين فهؤلاء وإن كان لهم مهارة في علوم المادة المحضة فإن كلامهم في الدين وأصوله أشبه بالكلام الذي طلبه العلم الديني كما هو معروف من أحوالهم ، ومن أراد الوقوف على جهل هؤلاء الذين عظمهم هذا الكاتب فلينظر إلى أقوالهم من أقوال أئمة الإسلام ولننظر إلى كتب شيخ الإسلام ابن تيمية خصوصاً العقل والنقل الذي وضع به البراهين العقلية فضلاً عن النقلية جهلهم البالغ ومعارفهم الضئيلة في أصول الدين وضلالهم العظيم فيها وإنما الذي رفع شأنهم عند أتباعهم معرفتهم في علوم الطبيعة الذي يشترك فيه البر والفاجر ، فهؤلاء وأمثالهم يقنعهم هذا الكاتب على ما جاءت به الرسل ويقنعهم بلاخوف ولا خجل على ملجأ به محمد صلى الله عليه وسلم وما ذهب إليه الصحابة والتابعون وأئمة الدين والهدى والهدى يقول هذا منتهى وهذا حاصله بطلائاً وفساداً وجهلاً وضلالاً ، بل مكابرة وعناداً . وهذا الكاتب سلك في نصر هذا المذهب الضال سلك الأعمى أي

الاجانب عن الدين يريد أعداءه ورافضيه الذى ليس الغرض منه إلا اضلال الخلق وهو كما ترى مناف للعقل والدين ، أما الدين فلا يمتري فيه أحد كما نهىنا عليه ، وأما العقل فان العقل والدين متآزران لا يرد الدين بما ينافى العقل الصحيح ولا يمكن أن يردشى عقول مقطوع به يخالف الدين بوجه من الوجوه وقد أخبرناك بأن الدين قد نبه على الأخطاء النافعة كلها، وإن نهاية ما فعله المتأخرون هو ترقية الصناعات وتفريع الحترعات والمهارة العظيمة فى أمور الطبيعة التى كانت أصولها تتناقضها الخلف عن السلف. ثم إن هذا الكاذب موه على الناس وزعم أن الذى أوصل هؤلاء المتفنيين فى العلوم العصرية والاختراعات نبذهم للدين وكل أحد يعلم أن نبذهم الدين لم يوصلهم إلى مصلحة دنيوية فضلاً عن المصالح الدينية وإنما الذين أوصلهم إلى الترقى فى هذه الفنون جدهم البليغ واجتهادهم ومواصلتهم الليل مع النهار فى تعلمها وإدراكها وتفرعها وترقيتها ، وقد تقدم لك أن الدين الإسلامى يحث على تعلم كل نافع منها ويأمر بكل علم يعين الامة على مقاومة الاعم ويوصلها إلى مصالحها فمن استدلل بتفوق الاجاب فى علوم المادة على صلاح دينهم وفساد دين غيرهم فهو من أجهل الخلق وأبعدهم عن المعارف بالكلية أو مغرر بموه يقصد الترويج على من لم يعرف الحقائق كما هو دأب هذا الكاتب الذى يسعى فيه. ومن تمويهاته الشيعة التى يريد بها محاربة الدين وأهله أن يزعم أن المسلمين يحثون على الفقر والبأساء والضراء وأنواع المصائب ويطلبونها ويسعون فى تحصيلها بكل طريق ، ويسخر منهم ومن ذكر الأدلة من الكتاب والسنة الدالة على فضيلة الصبر على الفقر والأمراض وأنواع المصائب كما صرح بذلك فى صفحات (١٢٦) و (١٤٠) و (٣١٩) وكذلك جميع النصوص الدالة على ذلك من الكتاب والسنة وهذا من باب قلب الحقائق فإن ذلك من أعظم محاسن الدين الإسلامى حيث أرشد أهله إلى التربية العالية التى هى أنفع التربيات وأجلها وأكثرها آثاراً حميدة فقد تكاثرت نصوص الكتاب والسنة فى فضل الصبر على المصائب والأمراض وأنواع المحن التى لا بد للخلق كلهم

مها في هذه الدار وذكر فضائل الصابرين ولما لهم من عند الله من الثواب وذلك
ليعلموا أنفسهم على تقلبات هذه الحياة الدنيا من غنى إلى فقر ، ومن يسر إلى عسر ،
ومن بأساء وضراء إلى خير وسراء ، ومن عافية إلى مريض ويعلمهم كيف يتلقون هذه
الأمور اللازمة للبشر في أطوار حياتهم فهي من ضرورات الحياة والوجود ، وأمرهم
أن يتلقوا النعم والخيرات بالشكر والاعتراف بنعمة النعم وصرفها في الأمور النافعة في
أمر الدين والدنيا وعدم الطغيان والبطر فيها ، وأن يتلقوا المكروه والمصائب بالصبر
والاحتساب والرضى بما منّ المولى والرجاء لثوابها العاجل والآجل ، فهم يتقبلون في
أحوالهم كلها مسرورين مفتحين إن أصابهم سراء شكروا وقاموا بحق النعم وصرفوها
فما يعود عليهم بالنفع عاجلاً وآجلاً وإن أصابهم الضراء صبروا وتضرعوا فهم أقوى
الخلق وأجلهم عند المصيبات والمكروه التي لا يسلم منها بر ولا فاجر بل كثير منهم
يتلقونها بالرضى والطمأنينة والشجاعة التامة وعدم الكراهة حيث تخور عزائم النحرفين
عن الدين عند المصائب ويجرى لهم من التسخطات والجزع والهلع والآلام القلبية
والزلازل الروحية والفظائع والفجائع التي قد توصلهم إلى الانتحار الذي يبرهن على
ضعف النفوس وخورها وأنه بلغ معها المكروه مبلغاً لا تقصر معه على الحياة ،
فقدان بين هذه الحال الفظيعة وحالة المسلمين القاعين بوظائف دينهم تجمد الفرق العظيم
بين النفوس والهمم القوية من المهينة ، ويشهد بذلك قوله تعالى : « إن الإنسان خلق
هلوغاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً إلا المصلين » . وقوله تعالى « ولئن
أدقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤوس كفور ولئن أدقناه نعماء بعد ضراء
منته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات
أولئك لهم مغفرة وأجر كبير » وتعريف بذلك أن النصوص التي فيها فضائل الفقر
والفقراء والأمراض والمصائب المتنوعة ألحّت على الصبر والمرض وبيان ما في ذلك من
الثواب لقصد حث النفوس على مقابلتها خير مقابلة ، وإن ذلك من محاسن دين الإسلام

حيث يحرم هذا الكاتب أن يقل أهل العلم وهداية الأمة هذه النصوص تدل على سوء حال المسلمين وأنهم بذلك يسمعون ويطلبون هذه الأمور بحجهم. وهذا من التوراة التي يصل إليه أحد من الأجانب ، فأين دعواه أنه ينصر الدين وهو من أكبر الممارين له ولقد علم كل أحد أن هذه النصوص قصد بها تربية المسلمين على مجاهدة ههنا بصدور منشرحة ونفوس مطمئنة ، وكل عارف بدين الإسلام يعرف أنه يأمر بالأخذ بجميع أسباب الصحة من تدبير الأعذية والنوم والنظافة الإيمانية والحركة الرياضية ونظافة الأبدان والثياب والفرش والمساكن وغيرها حيث يدعى هذا الكاتب عنكم ذلك فليأتنا بمثال واحد ونص واحد من الدين يدل على ما قاله من زيمه الدين وأهله بالذنس والوسخ والأخلاق والآداب المزرية فيا وبحه ما أعظم جرأه ، وكذلك هذا الدين يحث على التداوى إذا وقعت الآلام ويحبرهم الشارع أنه ما من داء إلا وله شفاء ودواء غلله من علمه وجهله من جهله لئلا يخلدوا إلى الكسل عن مداواة بعض الآلام ويظنون أنه لا دواء لها فإنهم إذا علموا أن لها دواء جدوا في تعلمه وطلبه ، وكذلك المسلمون يسمعون في دفع مضرات الفقر والأمراض والبلايا ويسألون الله العافية منها فهم يدافعون أقدار الله المكروهة شرعاً وطبعاً بأقداره المأمور بها شرعاً وطبعاً وليسوا كما رماهم به هذا الكاتب أنهم يسمعون لتحصيلها فهم أصبر الخلق على المصيبات وأعظمهم سعيًا في جميع الأسباب النافعات وليسوا كمن صرف جميع هممه في السلامة من الأمراض البدنية والفقر ولا يبالي بدفع الأمراض الروحية التي هي أشد فتكاً وأعظم هلاكاً وأدوم شقاء وهي أمراض القلوب ، ولا في دفع الفقر الحقيقي وهو الإفلاس من الباقيات الصالحات كما يدعوا إليه هذا الرجل ويحث عليه في كتابه ويحث على صرف الهمة كلها للوسائل ويذهب ويثبط عن المقاصد النافعة التي لا تنفع الوسائل بدونها ، فهل ينفع إصلاح الأبدان فقط مع فساد القلوب ؟ وهل يفيد إصلاح الدنيا فقط مع تخريب الآخرة ؟ فالآخرة والعمل لها ليس عند هذا الكاتب لها ذكر ولا خبر

ربه وتعلق قلبه التام بربه الذى جاءت به الكتب ودعت اليه الرسل وتنافس فى نيله
أرباب الصدق والإخلاص وأولوا الألباب فساقه مع غيره نافياً له متبهماً ساخراً بعباد
الله المخلصين هازئاً بالأخيار المفتقرين الى الله خالقهم الغنى الحميد وهو فى الحقيقة المسخور
منه المبتلى ببلوى يسألون الله منها العافية وهذه السخرية فى الحقيقة والتكذيب موجه
الى روح الدين فإن روح الدين هو التواضع والذل التام لرب العالمين ورؤية العبد
افتقاره الحقيقى إلى ربه واضطراره إليه فى جلب مصالحه ودفع مضاره وأنه لا يملك لنفسه
نفعاً ولا ضرراً بوجه من الوجوه وأن تمام عبوديته إلى ربه أن يلجأ إليه ويضرع
إليه فى جميع شئونه ويعلم أنه فى غاية العجز والضعف عن القيام التام بفعل الأوامر
 واجتناب النواهي وعن القيام بجميع الوسائل النافعة وأنه وإن لم يُعنه ربه لم يتم له أمر
فالمسلمون يعلمون أن افتقارهم إلى ربهم لا ينافى قيامهم بالأسباب النافعة كما أن القيام
بالأسباب لا ينافى الافتقار إلى الله تعالى بل كل واحد من الأمرين يعد الآخر فكما
ازداد العبد افتقاراً إلى ربه والتجاء إليه جاءه من معونة ربه وتيسير أموره ما لا يحصل
له بدون ذلك وكما قام بالأسباب مستعيناً بالله أمده بإعانتة وتوفيقه ، فهذا الكاتب ظن
أو جعل افتقار المسلمين إلى ربهم يوجب الضعف والكسل وموت الهمم وصورة بهذه
الصورة الشنيعة ثم طفق يحط على خيار المؤمنين ويرميهم بضعف الرأى والهمة والعقل
ولم يعلم المسكين أنه ينادى على نفسه بسفاهة العقل وقلة الإدراك إذ كان هذا ظنه وإن
كان الأمر غير ذلك فهو يبرهن على خداعه وبهرجته وتصويره حالة المسلمين بحالة شنعاء
ليتوسل إلى القدح فيهم وفى دينهم عند من لا يعرف الحقائق ويح هذا الرجل إذا
أنكر روح الدين ومقوماته وأصوله العظيمة التى لا تستقيم جميع الأمور إلا بها فإذا
يعترف به وإذا ذم الافتقار إلى الله والرجاء له فى كل الأحوال والاعتراف بأنه هو الميسر
للأمر السهل للصعاب الذى ما بالعباد من نعمة وخير وتوفيق فليس إلا منه ولا يأتى
بالحسنات إلا هو ولا يدفع السيئات إلا هو ، وهو الذى يحجب دعوات المضطرين ويرحم

ضعف المفتقرين ويحجر قلوب المنكرين لجلالة الطامعين كل الطمع في فضله ونواله إذا
 ذم هذا فأى شيء يحمد ويعدح أيمحمد النفس الضعيفة المهينة العاجزة عن مصالحها إلا
 بما يقدر عليها أو يئتي على الطبيعة ويأمر بالافتقار إليها وصرف الهمم والقلوب إليها وهذا
 ما يدعوا إليه قيا ويحج ما أخسر صفقته وبألت شمعى ماذا يقول فى أكمل الخلق فى
 جميع الصفات الكاملة وسيد المتوكلين وقدة المفوضين وأعظم الخلق افتقاراً الى ربه
 بكل معنى واعتبار حين يقول صلى الله عليه وسلم : اللهم رحمتك أرجو فلا تكلنى الى
 نفسى طرفه عين ولا الى أحد من خلقك واصلح لى شأنى كله ، اللهم إن تكلنى الى
 نفسى تكلنى الى ضعف وعورة وعجز وخطيئة وإنى لا أتق إلا برحمتك فارحنى رحمة
 تغننى بها عن رحمة من سواك . لابد أن يقول أن هذه حالة ديمية صاحبها مهن ضعيف
 النفس كسلان كما صرح به حيث وجه الهم الى المسلمين المفتقرين الى ربهم وحسبك
 بقول فساداً وبطلاناً وشناعة أن يبلغ هذا المبلغ . ولقد تم كلامه فى الافتقار الى الله
 كلامه فى التوكل حيث فسر التوكل بتفسير طويل مردد يرجع حاصله الى أن معناه
 العلم بنظام التكوين وأنه لا يتغير ولا يمانه مما منع ولا يغير الله أسبابه بإيجاد أو تقوية
 أو زيادة أو نقص فأبطل التوكل من أصله ونفاه من أسه ، والتوكل هو من أعظم أصول
 الدين وأعمال القلوب التى لاتم شروطها الا بالإيمان التام بالله تعالى والإيمان بقضائه
 وقدره وأنه تعالى هو المتصرف ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأن الأمور كلها بيده
 وتحت تدبيره وأن نواصى العباد بيده تعالى وأن أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وجميع
 شئونهم الجليلة والحقيرة منتظمة فى قضائه وقدره وأن أفعالهم من طاعات ومعاص
 داخلية فى مشيئته وقدره وان الله جعل لهم الاختيار فيها ولم يحجرهم عليها فإذا علم العبد
 ذلك حق العلم اعتمد على ربه اعتماداً حقيقياً فى جلب مصالحه وفى دفع مضاره الدينية
 والدينية ووثق بتحقيق مطلوبه وان الله كاف من توكل عليه فهذا التوكل الذى
 جاءت به الرسل ضربت به الكتب واتفق عليه جميع أهل الملل والأديان الصحيحة

وهذا قد أبطل ذلك كله لأن من كان أسلمه نبت الإيمان والحث على نفيه وزعمه أنه لا تقوم الأسباب الا برفض الإيمان ومن كان مذهبه أن التديرات في العالم العلوى والسفلى كلها من تديرات الطبيعة ونظامها وتفاعلها وتطورها ومن كان مذهبه في الوحى ذلك التفسير الذى نهنا عليه ، ومن كان رأيه في الجزاء الدنيوى والأخروى ما أشرنا إليه ، ومن كان يدعو الى رفض القديم الذى هو كتاب الله وسنة نبيه ومن كان يأمر الناس بثقافة جديدة لمحادية ينبذ فيها تعاليم الدين وأخلاقه كلها ، ومن صرخ بالكفر بجميع الأنبياء تصريحاً لا يمتري فيه كما سيأتى ان شاء الله نص كلامه ومن كانت هذه الأصول الخبيثة وغيرها أصوله التى يبنى عليها فلا يستغرب عليه إنكاره للتوكل على الله وتكذيبه جميع نصوص الكتاب والسنة فى معناه .

وكذلك من مباحث هذا الكتاب الضارة التى بلغت فى الفظاعة ووصلت فى الخلاعة مبلغاً ما وصل إليه ولا تجرأ عليه أحده أدنى عقل وبصيرة من الأولين والآخرين ما يبيده ويعيده ويكرره أن الإنسانية لا تزال فى تطورها وترقيها حتى تصل إلى الاتصاف بصفات الرب العظيم إن كان يشته بلفظه فالإنسان برغمه يمكنه أن يكون بكل شئ علماً وعلى كل شئ قديراً وأنه قد علم ما كان فى أول الموجودات وما يكون من آخرها وأنه علم مبدأ هذه الخليفة وخلف علوم الرسل خلف ظهره وهو يحاول علم ما سيكون فى هذا العالم بل علم مقدار ما بقى من عمر هذا العالم وقد علم حالة العالم السفلى وهو يحاول وسيدرك علم العالم العلوى وصنع الصور والأجسام وهو يحاول أن ينفخ فيها الروح فهو لا يستبعد إجماده للحيوان الصناعى والإنسان الصناعى غير مبال بتكذيبه لله ورسوله فقد زعم أنه قد يتمكن أن يوجد الحيوانات، وزعم أن التفريق بين الخالق والمخلوق أكبر الأغلاط وأنه يجب أن لا يفرق بين الرب العظيم وبين الإنسان وأن من فرق بينهما فلجهل وضلاله وغلطه كما صرح بذلك فى هذه الصفحات من كتابه المذكور (٣٨) و (٥٨) و (٦٧) و (٧٠) و (٧٧) و (٧٨) و (٩٧)

فانظر كيف رمى بهذا الأمر الفظيع وهو تضليله للمفارقة بين الله وبين خلقه كل رسول أرسله الله إلى الخلق وفي مقدمتهم محمد صلى الله عليه وسلم فضلا عن أئمة الهدى ومصابيح الدجى فإن زبدة ما جاءت به الكتب السماوية والرسل العظام هو توحيد البارى واعتقاد انفراده بجميع معانى الكمال المطلق الذى لا تدركه العبارات ولا تتصوره الأفكار وأن جميع المخلوقات فى العالم العلوى والعالم السفلى لا يمكن بل يستحيل ويمنع أن يساوا رب العالمين وأن يماثلوه فى صفة من صفاته ولا نفت من نعمته وأن أظهر القضايا الدينية والعقلية والفطرية هو التفريق بين الخالق والمخلوق فى كل النعوت فالرب هو الخالق وما سواه مخلوق وهو الرزاق المدبّر وما سواه مرزوق مدبّر وهو الأول الذى ليس قبله شيء والآخى الذى ليس بعده شيء والعليم بكل شيء والقدير على كل شيء والعزير بكل معانى العزة والحكيم الجامع لمعانى الحكمة والعظيم الذى له جميع صفات الكبرياء والعظمة إلى غير ذلك من نعمت جلاله وصفات كماله والمخلوق حادث بعد عدم له أول وآخر وهو ضعيف العلم ضعيف القدرة والله تعالى هو الذى أعطاهما أعظم من علم وقدره فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فأعظم الخلق وهم الرسل والملائكة قد اعترفوا أنه لا علم لهم إلا ما علمهم الله فمن سوى بين الله وبين خلقه فلا يهدؤوا إما أن يكون أعظم الخلق جهلا وضلالا واغترارا وإما أن يكون منكرا لرب العالمين جاحدا لمن كل وجه يريد أن يخادع ويمكر بإظهار الإيمان به . فهذا الكاتب خادع ومخدوع بما رآه فى تفوق الأمم المتقدمين فى الصناعات والاختراعات والفنون العصرية وأنهم لما مهروا فى علوم المادة والطبيعة فلا بد أن يصلوا إلى العلوم التى لا يعلمها إلا الله ويقدرها على ما ليس فى وسع الخلق وطاقتهم القدرة عليه إن جاز أن يظن هذا الظن ، فليعلم إن كان لم يعلم أن الله تعالى خلق الإنسان فى هيئة وبهيئة قابلة للتعرف فى العلوم والأعمال التى هى فى طوره وطاقته وأيمه بالعقل والفكر وإرشادات الرسل ومن سلك سبيلهم فى هداية الخلق وهيا له الأسباب التى توصله

إلى أعلى ما يمكن الوصول إليه من الأطوار البشرية وجعل له حداً ينتهى إليه ويتميز عليه مجاوزته جملة يترقى في أشرف العلوم وهو علم التوحيد والفائدة والأخلاق والأحكام وفي علوم السياسة وتدير الأمم وطبقات الناس وسخر له هذا الكون يستخرج آثاره ويستمد بقواه على صنائعه ومخترعاته فحصل للناس في هذه الأمور ما كان إلى حيث هي لهم كل على حسب مشربه أما الرسل وورثتهم من العلماء الربانيين والأئمة المصلحين المهادين المهديين فشريوا من العلوم الدينية وتغذوا بالمعارف الربانية الصالحة للقلوب والأرواح المرقية لها إلى أعلى الدرجات وأكل السعادات وكلوا ذلك بمعلوم الأحكام ومعرفة الحلال والحرام وعلوم المفاملات والحقوق المتنوعة بين الناس على كمال العدل والقسط والصلاح والإصلاح ومعرفة الفنون السياسية وجميع العلوم المعينة على الدين المصلحة للأحوال الخالصة للمنافع الدافعة للمضار حتى صاروا هادين مهتدين، بهم يهتدى المهتدون وإرشادهم يقتدى الصالحون فلم يصل لأحد علم ولا معرفة ولا خير إلا على أيديهم وبهدايتهم وعلومهم ومعارفهم توزن العلوم والمعارف وبأخلاقهم وأعمالهم يتبين الصالح من الفاسد فيلقوا شأواً وطاعة لم يصل إلى قريب منها أحد من الأولين والآخرين وصار الواحد من أتباع الرسل وأئمة الهدى لو قيس به جميع من بعدهم هذا السالك ويخضع لمعارفهم وأحوالهم من أئمة الملاحية لم يصل إلى عشر معشار ما أوتي من القوة العلمية فضلاً عما يترتب على ذلك من أحوال القلوب والإنابة إلى الله تعالى وكل من له معرفة يشهد بذلك والساكن اعترف به وشهد به حيث ترجم لشيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الصراع ترجمة حافلة وفضله على جميع العلماء وأنه بزم بسمة علمه وقوة إرشاده وسعة إطلاعه ومهارته المجيبة لا فرق بين المسلمين منهم والباطلين ولكنه كذب نفسه وتناقض في هذا الكتاب الذي ربحه السكين أنى يؤفك وبصرف عن الحق . وأما في هذا الوقت الأخير فقد جلت أحوال الأفرنجية والأمريكية ومن تبعهم واجتهدت في الفنون المعاصرة وصرفت لها أوقاتها

وراحتها وأقيمت عليها إقبالا عظيما فبلغت هذا المبلغ الذي لم يصل إليه أحد وهي جادة في السير إلى تكميل فنونها وتستصل بحسب ما يرى إلى ما تصل إليه قواها ومداركها. وأما كون معارفهم لا تنتهي لها وأعمالهم لا حدها وأنها ستراحم رب العالمين وستعلم كل شيء وتقدر كل شيء فهذا أمر يعرف بطلانه ببداية العقول. نعم هي قد توصلت من علوم المادة الأرضية والحيوية وتستخير القوى الباطنية إلى أمور لا يمكن إنكارها أما كونها تصل إلى عالم السموات والعالم العلوى وعلم ما كان وما سيكون مما لا سبيل لها إليه بوجه من الوجوه أو أنها ستتمكن من إيجاد الحيوانات ونفخ الروح فيها فهذا ممتنع في العقول الصحيحة كما أنه ممتنع في الشريعة فإن الله تفرد بعبود لا يعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب فضلا عن غيرهم وتفرد تعالى بأنه هو الذي يميت ويحيي لا يشاركه في ذلك مشارك من أهل السماء وأهل الأرض، فهذا يقال على سبيل التحدي لأبي مخلوق يكون: قد صنع هؤلاء المخترعون وأهل المهارة في علوم المادة الصور والصنائع المدهشة فهل في إمكانهم إيجاد بعوضة أو غيرها أو يردوا الروح إذا بلغت الحلقوم إلى موضعها ويقال لهم قد أوجدت المراكب البرية والبحرية والهوائية وسخروا مادة الكهرباء حيث يريدون ويشاؤون وفعلوا كذا وكذا مما هو داخل في قدرة الإنسان وحلوا المناصر الكبار والصغار فهل في إمكانهم أن يوجدوا أصغر مخلوق وهل لهم طريق إلى العلوم الغيبية التي انفرد الله بعلها فهل عندهم علم متى يحيى المات ومتى يموت الصحيح وما مقدار عمره وماذا يكسب الخلق في مستقبلهم على سبيل العلم الحازم. ونهاية ما عندهم التكهنات والتخرصات بحسب ما يشاهد من الأسباب وهل لهم سبيل إلى العلم بأحوال البرزخ والآخرة مما أخبرت به الرسل وكيفية ما فيها. وعند هذا الكتاب أن الإنسان لا يتعذر على علمه ولا على قدرته شيء فتأمل هذا القول الذي لم يصل إليه أحد من العقلاء ولا الحق. وفي كتابه في مواضع متعددة اعتراف بانفراده عن الناس بكثير مما ذكرناه ونذكره عنه من الأقوال الباطلة وأنه أدرك ما لم يدركه

الرسول وأتباعهم، وهذا مع ما فيه من العجب والاعتقار البليغ والكذب الصراح اعتراف بالشذوذ ومخالفة العقلاء كلهم وهذا من التجري والافتراء بمكان سحيق فالمشركون واليهود والنصارى لم يجرؤا على ما يقارب هذا القول وقد اتفق جميع المثبتين للخالق من أهل الأديان وغيرها أن الخلق لا يمكن أن يساوى الخالق بوجه من الوجوه ونهاية ما بلغ شرك الشركين أنهم جعلوا لهم آلهة يزعمون أنها يعمل لها من العبودية ما يستحق الله مع اعترافهم أنها مخلوق عاجزة ناقصة وأنهم ما عبدوهم الا ليقربوهم الى الله زلفى فتباً لمن صرح بمقالة يتحاشى ويتنزه عنها اليهود والنصارى والمشركون. وأما قصوو هؤلاء التأخرين في علوم التوحيد والدين مع مہارتهم في فنون الطبيعة فهذا من آيات الله وبراهين قدرته أن تجد أناساً في غاية الذكاء والبراعة وقد أدركوا من العلوم والفنون العصرية ما عجز عند الأولون وحار فيه الآخرون ثم هم مع هذه البراعة والذكاء المفرط في هذه الأشياء تجدهم في غاية الجهل والقصور العظيم والضلال البعيد عن العلم بالله وتوحيده وما يستحقه من العظمة والجلال والحمد يشاهدون من خوارق علم الإنسان ما تخبرهم به الرسل عن الله وأخباره وغيوبه وأحوال الجزاء وهم مقيمون على الكفر والتكذيب أفيقدر الإنسان يؤمنون وبقدرة الملك العظيم يكفرون؟ فهمؤلاء برعوا في أمور خاصة ضئيلة بالنسبة الى العلوم النافعة والمطالب العالية التي لا سعادة للخلق ولا فلاح لهم الا بها وعموا عن المقاصد فبذلك يعلم أن الأمر أمر الله والقضاء قضاؤه وإن اعجاب الإنسان بنفسه وتيهه بمعارفه الضئيلة أكبر حجاب بينه وبين الله وأنه ان تحلى عنه طرفة عين هلك وشقى .

ومن فروع غلوه في الطبيعة أن ادعى وكابر وكذب ما جاءت به الرسل وأخبر الله به في كتابه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم عن آدم أبي البشر وزوجه وعدوهما ابليس وما قص الله من أنبأهم فتجراً هذا الرجل وترك ما أخبر به الرسل والكتب السماوية وسلك مسلك ملاحدة الطبايعين الذين نظروا نظرية خرافية تسمى نظرية

دارون الإنكليزي ما لها تسلسل الإنسان عن القرد والقرد عن كلب أو حيوان دونه
وهكذا خطأهم فيها قومهم فضلا عن الرسل وأتباعهم حيث زعم أن الإنسان الأول في
طوره هنيهة بالحيوان أو هو الحيوان وأنه بقى مدداً طويلة ملايين أو ملايين الملايين حساباً
بحواظ لا ينطق ولا يحسن الخطاب ولا يرد الجواب وإنما يتناعثون ويتصايحون تصايح
الأجنة في أول وضعهم من بطون أمهاتهم وأنهم مكثوا تلك المسدد العظيمة وهم على
هذا الوصف ثم أنهم ارتقوا عن هذا الانحطاط فتمكنوا من الإشارات وصار بعضهم
يشير الى بعض من غير أن يهتدوا الى نطق ثم مكثوا ماشاء الطبيعة الا ماشاء الله
عظيم حتى ارتقوا فصاروا يتمكنون من النطق فلم يصلوا الى هذا الطور حتى مضت
عليهم أحقاب بعد أحقاب وهذا مع ما فيه من تكذيب جميع الكتب والرسل فإنه
أخبت التخرصات وأبدها عن الحقائق فأى طريق دلهم على هذا التخرص الباطل وأى
سند أوصلهم الى هذه الجراءة ولكن بأى الله تعالى إلا أن يفصح الناذين لدينه
المكذبين له ورسله تركوا علوم الرسل والحقائق اليقينية وتبعوا التخرصات وما
خرصوه وتخرصوه في الحفريات وما يحدونه من جث بعض الحيوانات فبعداً لمن اختار
هذه الحرافات والخزعبلات على ما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب وويل للكافرين
من عذاب شديد الذين يكذبون الله ورسله ويؤمنون بكل شيطان مرید .

ثم انظر الى البحث الأخير من كتابه الذى عنوانه (المشكلة التى لم تحل) فى
صفحة (٣١٥) وما بعدها الى آخر كتابه كيف أتى فيه بالطامات واللفظائع وأنكر
المنكرات وكيف حاول وصرح بأن الإيمان بالله وإثبات وجوده وربوبيته وأفعاله من
أشكى المشكلات وهى أصل الأمور وأوضحها وأجلها براهين ثم صرح بهذه الجراءة
التى ما وصل الى بها أحد من البشر إلا فرعون وأشباهه الذين أنكروا رب العالمين
وجحدوه بالكلية . وقد صرح أن الأولين والآخرين لم يحلوا هذه المشكلة فجميع
الكتب المنزلة من الله التوراة والإنجيل والزيور والقرآن وجميع ما قالته الرسل عموماً

وقاله سيدهم وإمامهم خصوصاً وجميع العلماء الربانيين والهداة المهتدين والحقكاه
والأساطين الجميع عنده لم يعرفوا الإيمان بالله ولم يحلوا هذه المشكلة التي زعمها فقبت
عند هؤلاء مشكلة الإيمان في غاية الإشكال والتعقيد عندهذا الكاتب فيا وعنه ما أعظم
هذه الطامة وما أشنع هذه الجراءة على الله وعلى رسله وكتبه وعلى جميع أهل العلم كبرياء
طاوعته نفسه على هذه الطامة الكبرى وكيف لم يكن له عقل يحجزه ويردعه عن هذه
الشناعة التي صار بها مضرب المثل في الإلحاد الجنوني والزندقة المقتننة سبحانه الله
العظيم وصدق رسوله النبي الكريم هذا الدين العظيم الذي وضع الحقائق الأصولية
والفروعية وعلوم الباطن والظاهر والعلوم المتعلقة برب العالمين والمتعلقة بالخلق من بين
كل شيء وإوضح كل شيء وهذا الرسول الكريم الذي هو أعلم الخلق على الإطلاق
وأكلمهم في جميع المعاني والصفات إذا قصر هذا الدين وهذا الرسول عن بيان هذا
الأصل الذي هو أصل الأصول والأساس الأكبر لأمر الدنيا والآخرة فأى شيء
بين ووضح وإلى أى شيء هدى وأرشد وإذا لم يحل ما زعمه هذا المقتري مشكلاً فأى
مشكل حله وأى علم أبانه ووضحه . لقد كان هذا الدين على زعم هذا الكاتب من أعظم
النكبات على البشر نقول على زعمه على وجه الإلزام وقد صرح بذلك في مواضع من
كتابه وعلى زعمه ما زاد الناس هذا الدين الكامل ولا الرسول العظيم الانتماء ولا
أوقمهم الا في أعظم الضرر فسبحان الله وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً . هذا
الأصل الكبير قد وضحه الله في كتابه ووضحه رسوله توضيحاً حتى بلغ من وضوحه
ان كان أظهر من الشمس في رابعة النهار وأبلغ من جميع المسائل كلها فلا يوجد في
الدنيا أى مسألة الا وكان بيان هذا الأصل أعظم من بيانه وبراهينه وأدله أكبر من
براهينها وأدلتها . لقد كاد الكتاب والسنة أن يكونا تأصيلاً وتفصيلاً لهذا الأصل العظيم
وأما البراهين العقلية والفطرية فكلها متفقة على الاعتراف بالله حتى المشركون الذين
يجهلون معه مخلوقات يدعونها ويصرفون لها شيئاً من العبادة معترفون أن الله هو

الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور ، وقد قالت الرسل أفى الله شك وقد عظمت هذه المسألة أن ينسج عليها كما قيل :

وليس يصح فى الأنفهان شئ . إذا احتاج النهار إلى دليل

وهذا الفترى بعد المحاولة والمحاولة وترديد الكلام والمهذر الذى لاحصل له زعم أنه انفراد بحلها فاستنتج بمقله الجنون وجزأته العظيمة أن حلها الوحيد هو أن ينبذ الناس الإيمان ودماء ظهورهم ويكونوا معاقين للطبيعة منسلخين من الدين والشرعة بالسكينة وأهمهم إذا فعلوا ذلك فقد سلخوا هذا اللغز المعقد ، وإن بقى عليهم بقايا من الإيمان فإنهم فى قيود وأغلال قد تمددوا عليهم النهوض والرق . فيأويحه أن قوله إنه مؤمن بالله وبكل ما أخبر به ، وهل بلغ أحد من الملحدين هذه الهاوية السحيقة . لقد وضح كل الوضوح وزال الإشكال أن هذا الرجل مخادع قد سلك نهجاً جديداً فى العناية الإلهادية . أتى على جميع الأدبان من أصلها ليزيلها ويقلمها . فهو بهذه العناية قد تصدى لمحاربة الأدبان النملوية كلها بالروح السكين الذى أضحى فريسة الملحدين إذا لم يثبت أصل الإيمان فأى شئ يثبت ، وإذا لم يؤمن بالله فأى شئ يؤمن (فأى حديث بسم الله وآياته يؤمنون) فن وصلت به الحال إلى هذا الحد من الجحد لم يبق الكلام معه فائدة لأن المكارم المباهت تربه إظهار الأشياء فينكرها .

زعم هذا الكاتب أن إيمان المتدينين بمنهم من مباشرة الأسباب وإن يأسروها فملى وجه ضيف . هذا حاصل المعنى الذى طول فيه الكلام وردده واستنتج منه أنه يتحتم على الناس رفض الإيمان بالله وبأقداره حتى يخرجوا من غلهم وحبسهم ويتطلقوا من أسرهم . لقد صدق هذا الكاتب فى أن الإيمان حبس لهم ، ولكن عن التهلكة فى الأخلاق الرذيلة وعن الانغماس فى الفجور والمفواحش الظاهرة والباطنة وقيد لهم عن التبحر على الظلم للخلق فى دنائهم وأموالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ، وأن أهله لا يمكن أن يكونوا إباحين ما داموا متمسكين به ؛ لكن بتركوا الإعراض عنه لتحل عنهم

القيود الشرعية فيصيروا كالبهاائم وتكون أمورهم فوضى ، وهذا ما أراده هذا الكاتب وهو يعلم حق العلم أن هذه الثمرات الجليلة من أعظم محاسن الدين وأجل ثمراته ولكنه يسعى أحت السعى لقطعها (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) فهذا الرجل لم يسلك مسلك الخذاق من الملحدين الذين يموهون بأشياء تروج على كثير من الناس ، ولكنه جاء إلى أظهر الأشياء وأجلاها وأوضحها فأنكره غاية الإنكار وكابر فيه أعظم مكابرة . زعم أن الإيمان بالله يضعف القوى ويوهن المزائم ؛ والحال أنه لا تقوم القوى كلها ولا تهض إلا بالإيمان بالله فانه لا حول ولا قوة إلا بالله فكل حول وقوة مستمدة من حول الله وقوته ، والعيد إذا وكل إلى نفسه فقد وكل إلى ضعف وعجز ونقص من جميع الوجوه فالمؤمنون بالله حقاً أقوى الخلق قلوباً وأبلغهم شجاعة وأصبرهم على المكاره وأثبتهم في المواطن الحرجة لإيمانهم الكامل بالله ورجائهم لثوابه وخوفهم من عقابه . فالإيمان هو مادة كل خير وكل صلاح وإصلاح وبه تندفع شرور الدنيا والآخرة . ثم مع ذلك الترويج والجدد للإيمان بالله يباهت فيزعم أن أهل الدين لا يمكنهم فهمه على وجهه . فعلى قوله لم يفهمه الصحابة والتابعون لهم باحسان ولا العلماء الربانيون ولا سائر أهل العلم من المسلمين وحيث لم يفهموه عنده يتعين عليهم رفضه والأخذ بطريقة الملحدين فأين الإيمان والإسلام الذي يدعيه هذا الرجل . وزعم أنه يثار على المسلمين وهو متصد لحاربتهم ومحاربة دينهم ، وأين العقل الذي يبق على صاحبه ويجعله متمسكاً بين الناس فإن هذا تمهور واستهتار ومناداة على عقله بالسفه والجنون (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه) وهو مع هذا يبدي ويميد في الاستهزاء بشرائع الدين وبأهله وحملته على وجه الوقاحة كدأ الحق والجائين فالؤمن يحمد الله على العافية من هذه البلية العظمى والمصيبة الكبرى ويسأل الله أن لا يزيع قلبه ولا يجعله مثله بين الخلق ، وأن لا يكون كمن آتاه الله آياته فانسلك منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ومن بهرجات هذا الكاتب حين قرر أن المسلمين لا يفهمون دينهم ولا يمكنهم

فهمه على حقيقته استشهد على ذلك بما قصه عن الرازي والآمدى وابن أبى الحديد ،
وأشألهم من الحائرين في معرفة الله وإن كان بعضهم قد تراجع عن حيرته . فرغم هذا
الكاتب أن المسلمين كذلك حائرون لا يهتدون إلى أصول دينهم ولم يعلم أو علم وتجاهل
أن هؤلاء الحيارى إنما حاروا في معرفة الله حين رفضوا علوم الدين في هذا الباب وتركوا
مادل عليه كتاب الله وسنة رسوله وأن خيرتهم في هذه الحال من أدل الدلائل على كمال
الدين وأن كل من اتقى الهدى من غيره أضله الله ، وهذه صفة لسكل من كذب بالحق
وتركه لا بد أن يمرج أمره كما قال تعالى : (بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر
مرج) فانظر إلى هذا الرجل كيف لما كذب بالحق وترك الإيمان بالله ورفضه ودعى
الناس إلى رفضه كيف تقلبت به الأحوال ولعبت به الأهواء ، وصار ينادى ويدعو
إلى الإلحاد بعدما كان يدعو إلى دين رب العباد فالمسلمون والله الحمد قد نهموا الإيمان
فهنأ كما لا أعظم من فهم أى قضية كانت ، فهم أعظم الناس يقيناً واثبتهم إيماناً وأحجمهم
اعتقاداً لأنهم آمنوا بالله وصدقوا المرسلين واستقاموا على الصراط المستقيم حيث عدل
غيرهم عن هذا الطريق .

ومن فروع نبذة الإيمان بالله وبما أخبر به على السنة رسله إنكار الملائكة والجن
والأرواح وسياقه لهذا الإنكار بأساليب تهكمية وعبارات سخرية بما أخبر الله به
وأخبرت به رسله ونطقت به الكتب واعترف به عليه الخلق وسائر أهل الأديان السماوية
وجاءت به نصوص الكتاب والسنة في نصوص كثيرة زادت على التواتر فأقر بها
المسلمون واعترفوا بها وبكل ما أخبر الله به ورسوله عن الملائكة والجن وعن أحوال
الروح في البرزخ وغيره ولم ينكر ذلك إلا جاحد ملحد مكذب لله ورسوله ، وقد تحاذق
هذا الرجل حين نصر قول من كذب بهذه الأصول العظيمة فجمع كل ما يقدر عليه
في كتابه من خرافات الخرافيين عن الجن والأرواح ونسب ذلك إلى المسلمين ليتوسل
به إلى القدح في الدين بظناً منه أنه يروج على الناس ، ثم لما قرر هذا التكذيب بمبارات

كثيرة في صفحة (٢٠٠) وما بعدها شعروا أن الناس لابد أن يقولوا هذا كلام مكذب
 بالملائكة والجن والأرواح فقال نفاقاً : ليعلم بعد هذا أننا ممن يؤمنون بالأرواح
 والملائكة والجان وبما أخبر الله به إلى آخر ما قال . فانظر إلى هذا التناقض والهرجة
 التي لا تخفى على من له أدنى عقل ، ولكن من غروره بنفسه يحسب أن الناس
 كالبهايم . ومن كذب بالمديرات أمراً وتهكم بما يذكر في الكتاب والسنة ويذكره
 أهل العلم من أنواع التدويرات في العالم العلوي والسفلي التي تتولاها الملائكة بأمر الله
 لم يستغرب بعد ذلك تكذيبه بتأثير العين وتحريف النصوص الواردة فيها وتغييرها
 بما لم يفسرها به مسلم بل ولا عاقل ، ومن كانت هذه الأصول عنده ترهات وخيالات
 لم تستغرب عليه ما نصره من سفور النساء وإيجابه لمخاطباتهن الرجال الأجانب في جميع
 المجموع الصغار والكبار وأنه ليس للرجال عليهن درجة ولا لهم فضل عليهن وأن هذا
 السفور والتهتك يزعمه هو عين الصلاح ، وأنه لا يمكن إصلاحهن وثقافتهن وتعليمهن
 إلا بهذه الطريقة السافلة ، وأن خيار المسلمين من القرون الماضية من الصحابة والتابعين
 ومن تمسك بهديهم إلى اليوم من خيار المسلمين أن هؤلاء كلهم ممن أولهم إلى آخرهم
 من الجهلة المصح حيث صانوا نساءهم عن التبرج والتهتك . ثم باهت في ذلك ناقلًا
 مستحسنًا أن الشر الحاصل من النساء المصونات المحفوظات بحفظ الله ثم بحفظ أوليائهن
 أهل الغيرة على الدين وشرائمه أعظم من الشر الحاصل من النساء المتهتكات المرائعات
 للرجال في جميع ميادين الحياة . ثم نقله القبيح واستحسنه في هذا الموضوع كلام
 الساقطين من الإباضيين الذين لا يرون شيئاً حراماً خبيثاً بل ما اشتبه الإنسان فعله
 ولا قبيح عندهم إلا ما لم تشتهه النفوس كما نقله في صفحة (١٠٣) وما بعدها مما يوضح
 هذا ، ماذا ترك للفضائل الدينية والآداب الدينية والصيانة الإنسانية لقد رفضها كلها ،
 وهذه الطريقة التي استحسناها هي الطريقة الوحيدة للإباحية بإباحة جميع ما حرم الله من
 الشرك والفواحش والمنكرات . إذا تقررت هذه المباحث الخبيثة والمنافية للدين من

كل وجه الدالة على انحراف عقل صاحبها عنه انحراف دينه فلا تستغرب بعد هذا زلفه وتكذيبه للأحكام الشرعية وتحريفه لنصوص الكتاب والسنة وترويضه بجمع الأخاديت الصحيحة مع آثار باطلة فيرد الجميع وتفسير النصوص بغير تفاسير المسلمين نصرته لباطله وإنما هي من جنس تحريفات القرامطة الباطنية ، ولندكر نموذجاً يسيراً من هذا النوع ليعرف بذلك الحاد بهذا الرجل فن ذلك قوله في قوله تعالى : (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) ذكر في صفحة (٤٤) أن معناها أن الله نهي عن المسلمين اليهود وقت نزول القرآن وبعائهم كيف لا يبصرون ، ما في أنفسهم من الآيات وأن الصحابة والقرون المفضلة ومن بعدهم من علماء المسلمين انطوت قلوبهم ، والعتاب موجه إليهم واللوم يقرعهم لكونهم لم يبصروا ما في أنفسهم من الاستعداد لاستخراج كنوزها ولا لاستخراج كنوز الأرض حتى جاء هذا الوقت فانطلمت عليهم هذه الآية (وكانوا أحق بها وأهلها) لكونهم العاملين بها حيث عمى عنها الأولون وعلموها حيث جهلها المتأخرون فهذا التطبيق تحريف لم يسبقه إليه أحد من المسلمين ولا ممن يدعى الإسلام ومعناه الجلى عند هذا أن ملاحة الأمم أكل وأفضل وأعظم عملاً بهذه الآية من السابقين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى آخر الوقت . سبحانه هذا بهتان عظيم . ومن تحريفه الحديث : ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به إلى آخر الحديث . قال في صفحة (٤٠) إن الحديث يدل على أن العبد غير مقيد وأنه لا يمتنع على قدرته شيء وأنه لا حد يقف عنده عمله وقدرته . زله على ذلك المبحث الخبيث السابق أن العبد في إمكانه مزاحمة رب العالمين هذا الإلحاد والتحريف لكلام الله وكلام رسوله لم يقل أحد ما يشبهه إلا الملاحدة من أهل وحدة الوجود ومعنى الحديث معروف والله الخلد بين المسلمين أن ذلك يدل على تسودد الله وثوفاً له ومعنى الآية الخاصة لمبته القام محبوباته من الفرائض والنوافل . ومن ذلك

ما قاله على قوله تعالى (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) في صفحة (٦١) محتجاً بها على قوله الباطل حيث زعم أن علم الإنسان محيط بمبادئ خلق هذا العالم فإنه يزعم أن الآية لا تنفي العلم حيث قال ما أشهدتهم ولم يقل ما أعلمتهم وزعم أنهم كانوا عاقلين وإن لم يكونوا مشاهدين ، وهذا لم يقله أحد من المفسرين . أما تفسيرها المعروف عند المسلمين فهو أن الله أنكر على الكافرين به المكذبين لرسله الذين زعموا أن أحداً من المخلوقين يستحق من العبادة والخضوع ما يستحقه الله فكذبهم الله وأخبر أن جميع الخلق ليس لهم مشاركة لله بوجه من الوجوه فلم يشهدهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وهذا نفى لطرق العلم كلها بمعنى فليس لهم سبيل إلى ذلك فإنهم إذا لم يشهدوا ذلك فهم لم يعلموه وإذا لم يعلموه فشهادتهم ودعواهم لاستحقاقها العبادة دعوى في غاية البطالان والتقول على الله تعالى وهى نظير قوله تعالى (وما كنت بجانب الغربي) الآيات . ومن تحريفاته التى تقشع منها الجلود ما ذكر في صفحة (٦١) و (٦٧) على قوله تعالى (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) أن المراد بذلك القرن الذى أنزل عليهم وأوائل هذه الأمة القرون المفضلة من الضحابة والتابعين لهم بإحسان وأن معناها أن علومهم لم تصل إلى بواطن الأشياء وإنما علمهم بسيط جداً وأنهم في ذلك الوقت في طور الطفولية بل في طور قريب من طور الحيوانات ولم يبلغوا رشدهم وإنما الذين بلغوا رشدهم عنده ملاحظة هذا الزمان الذين علموا من علوم المسادة ما لم يعلمه الأولون لأن العلوم النافعة عنده هى الفنون العصرية فقط ، وأما الأصول والمقائد وعلوم الأخلاق وتوابعها التى علم الطبيعة فرع من فروعها فإنها على قول هذا ليست من العلوم التى يؤبه لها وكفى به خذلاناً أن تصل به الحال إلى هذا والآية والله الحمد واضحة لا إشكال فيها وأن هذا وصف للكافرين المكذبين لمحمد صلى الله عليه وسلم أخبر تعالى أن علومهم ظاهرة يعلمون ظاهراً الحياة الدنيا دون باطنها وأنهم في غفلة عن الآخرة فهذا السبب الذى أوجب لهم رد ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم

وإلا فلو علموا ظاهرها وباطنها المقصود منها لبادروا إلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم كما فعله أهل العلم الحقيقي الذين بادروا لما رأوا الآيات البينات إلى الإيمان به لكن هذا الرجل يطبق هذه الآية على خيار الخلق وأكل القرون على الإطلاق ويسخر من العالمين بباطن الدنيا المستعدين للآخرة القائمين بعبودية الله الجاعلين الدنيا وسيلة إلى الدين ، وهو يريد ومحاول في كتابه هذا أن تكون الدنيا هي المقصودة والغرض الأصلي وأما الآخرة فإن كتابه هذا كفيلاً بتزويد الناس فيها وفي عبودية الله وفي الجزاء الآخرى ؛ فأى إيمان وأى إسلام وأى عقل صحيح بقى بعد هذا ، ومن ذلك تفسيره الحديث « كل مولود يولد على الفطرة » بأن الفطرة هي الخبث والشر ، وأن الإنسان بطبعه خلق شريعراً وأن الفطرة معناها أنه مفطور على الشر ويرفض جهاراً تفسير أئمة الهدى لهذا الحديث بأن معناه هو أن الله فطر عباده على قبول الخير علماً وعملاً وأن الله تعالى جعل في خلقهم استعداداً تاماً لقبوله نعمة منه وفضلاً كما قال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين إليه) الآية ويلزم على قوله أن يستدرك على النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه فيقال وأيضا لم قالت أو يمجسانه مسلماً لأن قبوله للجميع على حد سواء عند هذا ، وفي نفس الحديث والآية الكريمة حيث قال كالبهيمة الجمعاء هل تحسبون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها أى كالبهيمة التي تولد مجتمعة الخلق كاملة الأعضاء حتى يجدها الناس بقطع الأذان أو بعض الأعضاء كذلك الأدب خلقه الله مفطوراً على الاستعداد لمعرفة الحق وقبوله فلو ترك وفطرته ولم يعرض له ما يغيرها من التربية السيئة لما اختار غير الدين الحق وعبد هذا أن الفطرة معناها الشر والهمجية وهذا مناف للآية والحديث ، ومن أعظم الجرأة جراته على قوله تعالى في صفحة (٦٦) (وترام ينظرون إليك وهم لا يبصرون) قال يعنى بذلك الذين اجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وآمنوا به من

الضخامة الذين هم خيار الخلق وأعلمهم جعلهم هذا الرجل ينظرون الطواهير ولا يبصرون
 البواطن فهم في طور الأطفال كما تقدم التنبيه على هذا مراراً ، وهذا من جنس تفاسير
 الزنادقة من الباطنية والاسماعيلية والقرامطة والآية الكريمة عند جميع المسلمين معناها
 ظاهر ، وأن هذا وصف للكافرين بالرسول أو وصف للأصنام فعنها : أن الكفار
 تراهم ينظرون إليك نظراً ظاهراً وهم لا يبصرون ما فيك من المعاني الجليلة والأوصاف
 الجليلة والآيات التي تدل أكبر دلالة أنك رسول الله حقاً ؛ أو أن هذه الأصنام صور
 بلا أرواح تراها كأنها تنظر إليك وهي لا تبصر لأنها مجادات . ومن ذلك حق الروايات
 عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث الذي في مسند البزار أكثر أهل الجنة البله .
 فزعم أنهم بذلك يمدحون البلاهة ويحثون عليها ، وجمع في هذا خرافات الخرافيين
 ونسبها لحلة الشريعة ورجال الدين وكذب الحديث المذكور وتفسير الحديث ظاهر عند
 المسلمين : فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل أهل الجنة البله ؛ أو لا يستحق الجنة إلا البله بل
 قال أكثر أهل الجنة البله فهم لسلامتهم من الغل والحقد والصفات التيمية صاروا مستحقين
 للجنة ثلاثين الناس أن أمثال هؤلاء أن الله لا يرفع قدرهم ؛ مع أن في كتاب الله موطنة
 رسوله من الثناء على أهل العقول وأولى الأبواب . والأحلام والنهي والآراء الرزينة والحث
 على كل أمر فيه زيادة اللب والعقل فكم في كتاب الله وسنة رسوله من ذلك من
 النصوص ما يدل على ذلك فلا منافاة بين الأمرين ؛ فالدين يحث على التمسك في تحصيل
 العقول ويثني غاية الثناء على أولى الأبواب ويحبر أنهم خواص الخلق ومع ذلك فكل
 من آمن وعمل صالحاً ولو لم يصل إلى درجته من البله الأغرار فإنهم سعداء فإن الله
 لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

ومن المعجائب تزيده الحروب الحاضرة بين الأمم الأفريقية والأمريكية وتواجههم
 على قوله تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم) فجعلها المراد من الآية وقد أجمع
 المسلمون على أن المراد قتال المسلمين للكفار فهو المكتوب المفروض وهو الذي له الآثار

الطيبة ، وأما هذه الحروب التي بنيت على البغض والظلم والقسوة وعدم الرحمة فأبغض
 حينها وآثارها للطيبة وقد عمت البسيطة هلاكا وفناء وتدميراً وهي لا تسكن في
 وقتها إلا بالاستعداد لمجازر وشروخ ينسى آخرها أولها ، فها هو من أيات الله .
 ومن تحريفاته لحديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم كان يطوف على فناءه بفلس واحد .
 قال في صفحة (١٢٠) ان ذلك مجرد دواء لا مسبب معه . وبهكم بأنس وغيره ممن
 يضرون ذلك بالسبب الذي هو معنى الحديث عند جميع المسلمين حتى جاء هذا الرجل
 فأنكر عليهم وكتبهم وهذا الوهم الكاذب منشأه أنه ميراث ممن ورثوا القذح
 في الأنبياء بكثرة الأزواج ، فأبزل الله منكراً ومكذباً لهم قوله تعالى : (ولقد أرسلنا
 رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية) الآية وأى نقص في كثرة أزواجه وفي
 قيامه التام بمقوقهين وذلك من أجل مناقبه حيث كل الحقوق الكثيرة التي عليه
 وحيث كان في زواجه من النافع والمصالح للأمة ما لا يمد ولا يحصى . ومن جرأته
 العظيم ما ذكره في صفحة (١٢١) وما بعدها من الصفحات من تكذيبه لجميع النصوص
 الواردة في الزهد في الدنيا والصبر على البلاء والفقر وهي جزء كبير من أجزاء الدين
 كذب ذلك أجمع وباهت بأمر يعرف كذبه به كل أحد ثم روح كعادته القبيحة
 في ذكر أحاديث لا زمام لها ولا خطام حشدها في كتابه وتوسل بها إلى رد النصوص
 الصحيحة . ورضي جميع المسلمين من أولهم إلى آخرهم بقبول تلك الآثار الساقطة ،
 وتقدمت الإشارة إلى محاسن هذا الدين وأنه يحث على جميع الوسائل والمقاصد
 وإصلاح الدين وما يعين عليه من الدنيا بعكس ما كان يسعى إليه هذا الكاتب يحض
 في الزهد في الآخرة بل يسخر بأهلها العاملين وبما يذكر من الجزاء الديني
 والأخروي . ومن انحرافاته الفظيعة ما نقله تفصيلاً عن التوراة ليس في التوراة بل
 في الأمثال المنقولة لسليمان عليه السلام في الترغيب في الدنيا ثم قابل بينه وبين ما جاء
 في القرآن والدين الإلهامي في صفحة (١٧٧) وما بعدها وعلمت القرآن والسكت

الدينية حيث علقت السعادة والفوز والفلاح في العاجلة والآجلة على العبادة والتقوى والصالح وفضل ما نسب إلى التوراة في هذا الموضوع على الكتاب والسنة تفضيلاً عظيماً بل لم يجعل لهذا الأخير فضلاً بوجه من الوجوه بل حمل على هذه النصوص وزعم أنها هي التي خدرت هم الناس وتببطهم ومنعتهم من الرق وفيه كالتصريح بإنكار عقوبات الله للدينية والأخروية . ومن ذلك في صفحة (٢٩٦) تهكمه بحديث أنس : « لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه » وهو في الصحيح صحيح البخاري وتهكم به وبنقله وأنكره إنكاراً عظيماً والسبب في ذلك أصله الحديث حيث فضل ملاحدة الزنادقة من الأولين والآخرين على الصحابة وخير القرون ، وعرف أن هذا الحديث من الأدلة الكثيرة الدالة على كذبه وبطلان قوله . وزعم أن اعتقاد فضيلة الأولين من الصحابة والتابعين منعت الرق فهذه الدعاية لنبيذ الدين التي يسمى لها هذا الرجل سعيًا حثيثاً ويوصل أصولاً خبيثة يرد لأجلها الأصول الشرعية فهذا في كتابه نهج لهذه الدعاية الإلحادية دعايات كثيرة تارة بتحريفه لنصوص الكتاب والسنة وتارة بالقدح في الصحابة والتابعين وحملة الدين من خير القرون الذين لم يصل للناس هذا الدين إلا على أيديهم وقد أكثر فيه من الاستهزاء والسخرية العظيمة حتى كادت جميع مباحثه المنحرفة تكون سخرية واستهزاء وتهكما بالدين والشريعة وحملة الدين . فهنا يقف الماقل وقفة تعجب فيقول : هل ترى هذه السخريات والتهكمات الصادرة من هذا الرجل الحامل عليها الإعجاب العظيم بالنفس واحتقار غيره فإنه لا يستغرب فإن الخيالات متى استحكمت في النفوس تجسمت وصارت لها السيطرة على عقل الإنسان وعدم الإبقاء منه على مكانته بين الناس فلا يستغرب بهذا أن ذكاه وفطنته اضمحلت في ضمن هذه السيطرة حتى تلاشت فلم يكن له إحساس بما يصدر منه وأنه وصلت به الحال إلى ما يشبه الجنون وعدم الشعور فإن الذين معهم همكة من العقل الممشى دع العقل الديني يبقون على أنفسهم وعلى مكانتهم عند الناس

وفي قلوب من يعظمهم فلا يرضى أحدهم أن تكون السخرية والاستهزاء ديدنه
 في الأمور العادية ~~فلا~~ عن أن توجه إلى دين الله وإلى رسله وأتباعهم . ولكن يأتي
 الله إلا أن يفضح من تعرض لدينه وشرعه وأوليائه في الدنيا والآخرة . وإذا كان
 من جملة مقالاته الشنيعة الفاضحة ما صرح به في صفحة (٣١٧) بقوله الصريح :
 (إن المتدينين على اختلاف ديارهم وأزمانهم وأنيابهم وأمزجتهم وأجناسهم عجزوا أن
 ينهوا الحياة شيئاً جديداً وأن يكونوا فيها مخلوقات متألقة) ، فهل بعد هذا التصريح
 بهذا الديانات السماوية كلها والكفر بجميع الأنبياء وتحقيرهم وتفضيل غيرهم عليهم شيء وهل
 وراء هذا التقديم ~~في~~ الكفر غاية ونهاية ، وكلّم له في كتابه هذا من هذا النوع شيء كثير .
 ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .
 (واعلم) أن عباراته في هذه المواضع التي نبهنا عليها كثيرة مكررة بعبارات متنوعة
 لم ننقلها خوف طول الكلام لغير فائدة ولكننا أتينا بملخصها . وأرشدنا لمن يحب
 الوقوف عليها إلى صفحاتها من كتابه الأغلال المطبوع . وكذلك في رسالتنا هذه
 لم نذكر من ذكر الآيات والأحاديث الرادة لقوله . لأن الكتاب والسنة كلها رد
 لقوله لأنه في جميع أصول الكتاب والسنة وأزاد قلعه من أساسها ولأن المقام يقتضى
 ذلك فإن المناظرة مع من يعظم الكتاب والسنة نوع ومع من لا يراها نوع آخر .
 ومحمد الله على ما نبهنا عليه في كتابه من الفظائع والشنايع التي لا يقولها إلا من انتهى
 إلى طغيانه وكفره لم نستعمل معه في خطابه الخاص إلا الرفق واللين اتباعاً للكتاب والسنة
 في خطاب المحاربين النحرفين أن يقال قال فلان وفعل فلان . وأما عند ذكر الأقوال
 الشنيعة فيذكر ما احتوت عليه من الضرر والناقصة للأديان ومرتبها في البعد من
 الدين وبيان ما على قائلها من الضلال والنقص فيكون القدح فيه موجه عليه من أقواله
~~مبين~~ ما على صاحبها من نقص الدين والعقل والرأى وليس لنا غرض في شخصية
 هذا الرجل ولكن لما اعتدى على ديننا الإسلامي وعلى قواعده وأصوله وأساسه ونهجه

به وبحملته وفضل عليهم زنادقة الملحدين وصنع مع المسلمين أعظم من صنيع دعاء
النصارى من المبشرين وجب على كل مسلم مدافعتة ودفع شره وقسسه أمره والتحذير
من طريقته ودعايته بحسب القدرة وإلا فوالله اننا لنأسف أشد الأسف على انقلاب
هذا الرجل ونعد ذلك من الخسائر علينا حيث فقدنا هذا الرجل الذى مضى له من
المقامات ونصر الحق ما لا ينكر، بل لنا أن نقرأ قول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ
عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَأْمٍ) ونسأل الله أن يهدينا
إلى الحق وأن يعيده إلى الإسلام بالتوبة والتصل مما وقع منه وأن يكتب كتابا فى
رجوعه عن هذه المباحث الخبيثة ، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على دينه ، وأن لا يرفع
قلوبنا بعد إذ هدانا ويهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب وصلى الله على محمد وعلى
آله وصحبه وسلم .

قال ذلك وكتبه الفقير إلى الله عبد الرحمن بن ناصر بن محمد بن عبد الله بن
حرر فى ٣ من ربيع الآخر سنة ١٣٦٦ وتلقاه من خط الشيخ عبد الرحمن بن سعدى .
أنا الفقير إلى الله تعالى عبد الله بن محمد العوهلى وحرر فى ١٢ من جمادى الأولى سنة ١٣٦٦
بلغ مقابلة على يد شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن سعدى فى ١٣ من جمادى الأولى
سنة ١٣٦٦ .